جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها

استراتيجيّة توجيه الخطاب في القرآن الكريم
سورة طه نموذجًا
Strategy of Discourse Guidance in Al-Quran- Surat Taha as a model

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

– تخصص اللغة والنحو

إعداد الطالب

مشعل عبيد الشمري

2009101074

إشراف الدكتور

خالد بني دومي

2014

استراتيجيّة توجيه الخطاب في القرآن الكريم

سورة طه نموذجًا

Strategy of Guidance in Al- Quran- Surat Taha as a model

إعداد الطالب: مشعل عبيد الشمّري

بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها- جامعة القصيم- 2006

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها – تخصص اللغة والنحو

لجنة المناقشة

د. خالد قاسم بني دومي ..... مشرفًا ورئيسًا

(أستاذ مساعد في اللغة والنحو- جامعة اليرموك)

أ.د. سمير شريف استيتيّة ..... عضوًا

(أستاذ في اللغويّات- جامعة اليرموك)

د. علاء الدين أحمد الغرايبة ..... عضوًا

(أستاذ مشارك في اللسانيّات- جامعة الزيتونة الأردنيّة)

2014

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى:

- أبي الحبيب، وأمّي الحنون، أطال الله بقاءهما.
- روح أخي "فهد"، رحمه الله رحمة واسعة.
- زوجتي الغالية.
- ابني راكان، وابنتي رفيف.
- إخوتي وأخواتي.
- أصدقائي، وزملائي.

الذين تحمّلوا معي عناء هذا البحث، منذ اللحظة التي كان فيها فكرة، إلى أن غدا حقيقة أقطف اليوم ثمارها اليانعة.

الباحث:

مشعل الشمّري

الشكر والتقدير

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فالشكر لله العليّ القدير، أن منحني الصبر والإرادة لإنجاز هذا العمل.

ثمّ يقتضيني الواجب أن أقدّم جزيل الشكر إلى أستاذي الدكتور خالد بني دومي، على تفضّله بالإشراف على هذه الدراسة، وعلى ما قدّمه لي من دعم ومساعدة ورعاية؛ طوال مدّة إعداد هذا البحث، فجزاه الله عنّي خير الجزاء.

كما أتقدّم بخالص الشكر ووافر الامتنان إلى عضوي لجنة المناقشة الكريمين: الأستاذ الدكتور سمير استيتيّة، حفظه الله، وأكرمنا بالنيل من علمه وفضله، والدكتور علاء الدين الغرايبة، رعاه الله، وبارك فيه؛ كفاء تفضّلهما بمناقشة هذا العمل العلمّي، وتقويم منآده.

والشكر موصول إلى كلّ من مدّ لي يد العون، في سبيل إنجاز هذا العمل؛ فلكم جميعًا كلّ المحبة والاحترام والتقدير. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الباحث

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
قائمة المحتويات	هـ
ملخّص باللغة العربيّة	ز
ملخّص باللغة الإنجليزيّة	ط
المقدّمة	1
الفصل الأول: مفهوم الاستراتيجيّة التوجيهيّة	
المبحث الأول: الخطاب	6
المطلب الأول: الخطاب لغة واصطلاحًا	6
المطلب الثاني: الخطاب في الثقافة العربيّة	10
المطلب الثالث: الخطاب في الثقافة الغربيّة	13
المبحث الثاني: السياق	18
المطلب الأول: السياق لغة واصطلاحًا	18
المطلب الثاني: السياق في الثقافة العربيّة	20
المطلب الثالث: السياق في الثقافة الغربيّة	25
المطلب الرابع: عناصر السياق	28
المبحث الثالث: الاستراتيجيّة التوجيهيّة.	32
المطلب الأول: مفهوم الاستراتيجيّة العامّ	32
المطلب الثاني: مفهوم الاستراتيجيّة في الخطاب	33
المطلب الثالث: مفهوم الاستراتيجيّة التوجيهيّة في الخطاب	37
المطلب الرابع: الاستراتيجيّة التوجيهيّة في الدراسات السابقة	41
المطلب الخامس: مُسَوّغات استعمال الاستراتيجيّة التوجيهيّة	47
المطلب السادس:الأساليب اللغوية المستخدمة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة..	48
الفصل الثاني: الأساليب اللغوية في الاستراتيجيّة التوجيهيّة في سورة طه	
المبحث الأول: الاستراتيجيّة التوجيهيّة في الأمر	56
أسلوب الأمر في سورة طه	59

المسألة الأولى: الأمر بالصيغة القياسية "افعلْ" الصّريحة 60
المسألة الثانية: الأمر بالصيغة القياسية "افعلْ" المقدرة 78
المسألة الثالثة: الأمر بلام الأمر الداخلة على الفعل المضارع.... 79
المسألة الرابعة: الأمر بالمصدر النائب عن الفعل 80
المبحث الثاني: الاستراتيجية التوجيهية في النهي..... 82
أسلوب النهي في سورة طه 83
أولاً: النهي بالصيغة القياسيّة "لا تفعل"..... 83
ثانيًا: النهي في سورة طه على الصيغة القياسية" لاتفعل" المؤكّدة بالنون الثقيلة..... 88
المبحث الثالث: الاستراتيجية التوجيهية في الاستفهام..... 93
المطلب الأول: مفهوم الاستفهام 93
المطلب الثاني: أدوات الاستفهام 96
المطلب الثالث: مواضع الاستفهام في سورة طه. 99
المسألة الأولى: الاستفهام بالهمزة..... 99
المسألة الثانية: الاستفهام بـ "هل" 103
المسألة الثالثة: الاستفهام بالاسم "ما"..... 106
المسألة الرابعة: الاستفهام بالاسم "مَنْ" 110
المبحث الرابع: الاستراتيجيّة التوجيهيّة في النداء. 113
المسألة الأولى: النداء باستخدام أداة النداء "يا" 114
المسألة الثانية: النداء من غير أداة 120
المبحث الخامس: الاستراتيجيّة التوجيهيّة في التحضيض 124
المبحث السادس: الاستراتيجيّة التوجيهيّة بذكر العاقبة 126
الخاتمة..... 130
المصادر والمراجع 133

الملخّص

تعدّ دراسة الخطاب واستراتيجيّاته من التوجّهات الحديثة في الدرس اللسانيّ المعاصر. والمقصود باستراتيجيّة الخطاب الطريقة المحدّدة التي يتّخذها الخطاب سبيلاً للوصول إلى غايته وأداء وظائفه، مراعيًا في ذلك قرائن الحال والسياق. وتتعدّد استراتيجيّات الخطاب في الدرس اللسانيّ المعاصر لتشمل: الاستراتيجيّة التضامنيّة، والاستراتيجيّة التلميحيّة، والاستراتيجيّة الإقناعيّة، والاستراتيجيّة التوجيهيّة، التي كانت هذه الدراسة ميدانًا رحباً لها، في المستويين: النظريّ والتطبيقيّ.

وجاء اختيار سورة طه في المستوى التطبيقيّ؛ نظرًا لما تشتمل عليه هذه السورة الكريمة من توجيهات ربّانيّة كثيرة، تأتي في السورة، ضمن أساليب لغويّة توجيهيّة مختلفة ومتعدّدة، اجتهدتُ في دراسة شواهدها وأمثلتها في السورة الكريمة، وتحليلها تحليلاً يبرز أثرها في توجيه الخطاب.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع، ومنهجيّة البحث، أن تكون الدراسة في مقدّمة، وفصلين، وخاتمة. وتضمّنت المقدّمة حديثًا عن استراتيجيّات الخطاب، وعن سبب اختيار الاستراتيجيّة التوجيهيّة عنوانًا للدراسة، وعن أهمّيّة البحث في هذا الموضوع، وأبرز المراجع التي أفاد منها الباحث، والصعوبات التي واجهها وهو يسبر أغوار هذا الموضوع الشائق والشائك.

أما الفصل الأول فحمل عنوان: "مفهوم الاستراتيجيّة التوجيهيّة"، عرض فيه الباحث مفهوم الخطاب، ومفهوم الاستراتيجيّة في الخطاب بشكل عامّ، ثم بيّن مفهوم الاستراتيجيّة التوجيهيّة في الخطاب، واستعرض أهمّ الدراسات السابقة في هذه الاستراتيجيّة، عند العرب والغربيّين، ومسوّغات استعمال هذه الاستراتيجيّة، وختم بذكر أهمّ الأساليب المستخدمة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة.

وأمّا الفصل الثاني فحمل عنوان: "الأساليب اللغويّة المستخدمة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة في سورة طه"، عرض فيه الباحث هذه الأساليب وهي: الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، والتحضيض، وذكر العاقبة. وحلّل كلّ شاهد من الشواهد الواردة في السورة، في ضوء الأساليب المذكورة، مبيّناً أثره في توجيه الخطاب. وأعقب ذلك بوضع جدول إحصائيّ يبيّن نسبة ورود كلّ من هذه الأساليب، مقارنةً بغيره من الأساليب الأخرى، المستخدمة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة.

وتضمّنت الخاتمة أهم النتائج التي توصّل إليها البحث.

Abstract

The study of discourse and its strategies are considered as a modern trends in contemporary linguistics studies. The Discourse strategy is the intended way in which the Discourse choose to perform its objectives and implement its functions, taking into account the evidences of the situation and the context. There are various Discourse strategies in the contemporary linguistics including: solidarity Strategy, indirect Strategy, and Directive Strategy, that this study was a wide field for the two categories: theoretical and practical.

In the applied level, the choice of Taha Surah (in the Holy Quran); because it was ample of many divine directions appeared in different linguistic ways and styles . So, I worked hard to study and analyze its evidences and examples, to illustrate their roles in directing the discourse.

The importance of the subject and the methodology research have been necessitated; that the study should contain an introduction, two chapters, and a conclusion. The introduction included some information about the discourse strategies, and the causes of choosing the directive strategy as a title for the thesis, the importance of research in this subject, the most prominent references that, of which, the researcher has made use of, and the difficulties he had faced through exploring this interesting and thorny issue.

The first chapter has carried the title: "The Concept of the Directive Strategy ", in which the researcher has presented the concept of discourse and the concept of strategy in a discourse in general, then the concept of directive strategy in the discourse, and presented the most previous studies in this strategy among Arabs and Westerns, and the rationale causes for the use of this strategy then he concluded by mentioning the most important methods used in the directive strategy.

The second chapter has carried the title: "The linguistic Methods used in the Directive Strategy in Taha Surah," in which the researcher presented the following methods: The imperative, the forbidding, the interrogation, the vocative, exhortation, and reminding of the consequence. In addition to analyzing all the evidences contained in the Sura, throughout the described methods, noting its role in directing the discourse. This was followed by the development of a statistical table showing the percentage of each one of these methods, compared to other methods, used in the directive strategy.

The Conclusion has included the most important findings of the research.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين. أما بعد؛

فإنّ القرآن الكريم هو خير ما توجّه إليه النظرات، وأحسن ما تنفق فيه الأوقات. وقد فهم المسلمون، في مشارق الأرض ومغاربها، هذه الحقيقة، فبذلوا جهودًا كبيرة، قديمًا وحديثًا، في سبيل حفظه، وفهم معانيه، وتعرّف وجوه إعجازه، ولذا فإنّه لم يحظ كتاب من الكتب بمثل ما حظي به القرآن الكريم من عناية العلماء والفقهاء والباحثين والدارسين، على مرّ العصور، وسيبقى هذا الكتاب العظيم قِبلة الدارسين والباحثين والمؤلّفين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد كنت حين نلت شرف الانتقال إلى مرحلة الدراسات العليا، أمنّي النفس في أن أكون واحدًا ممّن وفقهم الله لخدمة كتابه، وهائنذا اليوم أنجز، بحمد الله وتوفيقه، مبحثًا من المباحث الأثيرة في الدراسات اللسانيّة التي تتّصل بالقرآن الكريم؛ ذلكم هو: "استراتيجيّة توجيه الخطاب في القرآن الكريم – سورة طه نموذجًا".

وبغير قليلٍ من الثقة والاطمئنان، يمكنني القول إنّ التداوليّة، بوصفها علمًا لسانيًا حديثًا، قد شغلت حيزًا كبيرًا في الدرس اللسانيّ المعاصر؛ وذلك لأهمّيّة هذا العلم في الوصول الى كنه الخطاب ومعرفة أبعاده، ودلالاته، وإيحاءاته، المنسوجة في قالب لغوي قد يوصف بأنه معقّد من الناحية المنطقيّة. ولهذا فإن التداوليّة كانت، ولا تزال، هي المسؤولة عن سبر أغوار هذا النسيج، والكشف عن أسراره ومقاصده ومعانيه.

وعليه، فقد سارت التداوليّة عبر مراحلها المعرفيّة في طرقٍ شتّى، وعدة مباحثَ، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بكلّ ما يعتري الخطاب اللغويّ من أحوالٍ ومواقفَ وظروفٍ، فكان لها السّبْق في

التقوقع فيما يحيط بالخطاب من زمانٍ ومكانٍ، لا ينفكّان بحالٍ من الأحوال عن المعنى المقصود من الخطاب، وبيان حقيقة قصد المتكلّم، على وجه الدقّة والتبيان.

فإن كان ذلك كذلك، فإن التداوليّة علمٌ إجرائيّ تتكشّف به استراتيجيّات الخطاب المتداول، فظهر على مساحة الإجراء التطبيقيّ للتداوليّة استراتيجيّات للتحليل التداوليّ للخطاب.

وتكمن أهمّيّة هذه الدراسة في أنّها الدراسة الأولى- في حدود علمي – التي تناولت استراتيجيّة التوجيه في الخطاب القرآنيّ، في بحثٍ مستقلّ، يتناول أهمّ ما يتعلّق بهذه الاستراتيجيّة في المستوى النظريّ، مشفوعًا بالتطبيق العمليّ على واحدة من سور القرآن الكريم، وهي سورة طه.

لقد تناولت الدراسة في فصولها ومباحثها تحليل الخطاب من منظور تداوليّ، فاتكأت على كلّ ما يحيط بالخطاب من ظروفٍ وأحوالٍ وشخوصٍ وزمانٍ ومكانٍ، فوقفت على الخطاب بمعطياته الثلاثة: المرسِل، والنّصّ، والمرسَل إليه. واعتمدت كتاب عبد الهادي الشّهريّ "استراتيجيّات الخطاب"؛ لما لهذا الكتاب من أهمّيّة كبرى، في هذا المجال؛ إذ إنّه كتاب تطبيقيّ للمنهج التداوليّ على استراتيجيّات الخطاب الأربع: التلميحيّة، والتضامنيّة، والتوجيهيّة، والإقناعيّة.

وهناك مجموعة من الدراسات التي تناولت جوانب في الخطاب، مثل ما نجده عند خلود العموش في "الخطاب القرآنيّ – دراسة في العلاقة بين النّصّ والسّياق"، ودراسة فوز نزّال "الحوار في القرآن الكريم"، ودراسة دليلة قسميّة "استراتيجيّات الخطاب في الحديث النبويّ"، ودراسة فريال القضاة "الخطاب العقليّ في القرآن الكريم"، ودراسة علاء الدين الغرايبة "سورة طه– دراسة أسلوبية صوتية"، بالإضافة على عدد من المصادر القديمة، والمراجع الحديثة، مثل: كتب علوم اللغة، والنحو، والبلاغة، والمعاجم، وكتب علوم القرآن، والتفسير، وكتب أصول الفقه.

أما صعوبة هذا البحث، فنابعة من كونها تقارب النص القرآني من منظور لسانيّ حديث، وهو يُعدّ أمرًا شائكًا، يحتاج إلى حرص بالغ، وحذر شديد، إضافة إلى ندرة الدراسات المتّصلة باستراتيجيّات الخطاب، وبخاصّةٍ في القرآن الكريم.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وفصلين، وخاتمة.

تحدّثت في المقدّمة، عن سبب اختياري لهذا الموضوع، وبيّنتُ أهمّيّته، وذكرتُ أبرز المراجع التي أفدتُ منها الدراسة، والصعوبات التي واجهتني أثناء إعداد هذه الدراسة.

أما الفصل الأول فحمل عنوان" مفهوم الاستراتيجيّة التوجيهيّة"، وقسّمته إلى ثلاثة مباحث: الأول الخطاب، وفيه ثلاثة مطالب: تحدثت فيها عن تعريف الخطاب لغة واصطلاحًا، وعن الخطاب في الثقافتين العربيّة والغربيّة. والثاني السياق، وفيه أربعة مطالب: تحدثتُ فيها عن تعريف السياق لغة واصطلاحًا، والسياق في الثقافتين العربيّة والغربيّة، وعن عناصر السياق. والثالث الاستراتيجيّة التوجيهيّة، وفيه ستّة مطالب: تحدثت فيها عن مفهوم الاستراتيجيّة بشكل عامّ، والاستراتيجيّة التوجيهيّة في الخطاب، والاستراتيجيّة التوجيهيّة في الثقافتين العربيّة والغربيّة، وأهمّ الجهود في كلّ منهما، وعن مسوّغات استعمال الاستراتيجيّة التوجيهيّة دون غيرها، والأساليب اللغويّة المستخدمة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة.

وأما الفصل الثاني وعنوانه: "الأساليب اللغوية المستخدمة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة في سورة طه"، فخصّصته للجانب التطبيقيّ، وجاء في ستّة مباحث، تحدّثت فيها عن الأساليب المستخدمة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة، وأدواتها، ومواضع ورودها في السورة، مع دراسة تحليليّة لكل منها. وهذه الأساليب هي: الأمر ، والنهي، والاستفهام، والنداء، والتحضيض، وذكر العاقبة.

وفي نهاية البحث خاتمة تضمنت أهمّ النتائج التي توصلت إليها، في المستويين: النظريّ والتطبيقيّ؛ ثم ذيّلت هذه الدراسة بقائمة المصادر والمراجع التي أفادت منها الدراسة.

وأخيرًا، فإن هذه الدراسة هي محاولة جادّة على طريق البحث، فإن أصبت فمن الله سبحانه وتعالى، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وحسبي أنّي اجتهدت، وأرجو أن أنال أجر المجتهدين.

الباحث

الفصل الأول:

مفهوم الاستراتيجيّة التوجيهيّة

المبحث الأول: الخطاب

المطلب الأول: الخطاب لغة واصطلاحًا

المطلب الثاني: الخطاب في الثقافة العربيّة

المطلب الثالث: الخطاب في الثقافة الغربيّة

المبحث الثاني: السياق

المطلب الأول: السياق لغة واصطلاحًا

المطلب الثاني: السياق في الثقافة العربية

المطلب الثالث: السياق في الثقافة الغربية

المطلب الرابع: عناصر السياق

المبحث الثالث: الاستراتيجيّة التوجيهيّة

المطلب الأول: مفهوم الاستراتيجيّة العام

المطلب الثاني: مفهوم الاستراتيجيّة في الخطاب

المطلب الثالث: مفهوم الاستراتيجيّة التوجيهيّة في الخطاب

المطلب الرابع: الاستراتيجيّة التوجيهيّة في الدراسات السابقة

المطلب الخامس: مُسَوّغات استعمال الاستراتيجيّة التوجيهيّة

المطلب السادس: الأساليب المستخدمة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة

الفصل الأول:

مفهوم الاستراتيجيّة التوجيهيّة

ربما يكون من المناسب، قبل الحديث عن مفهوم الاستراتيجيّة التوجيهيّة، أن أبيّن، بشيء من التفصيل، اثنين من المفاهيم ذات الصلة بهذا الموضوع؛ أولهما الخطاب، بوصفه الركيزة الأولى التي ينبني عليها جملة من المفاهيم، مشفوعًا بأهمّ الدراسات التي دارت حوله، سواء في التراث العربيّ، أو في الدراسات الحديثة، وثانيهما السياق، وعناصره، وأثره في تحليل الخطاب. وبعد هذا كلّه، سأقف عند مفهوم الاستراتيجيّة التوجيهيّة، مبينًا أبرز الدراسات التي دارت حولها، ومسوّغات استعمال هذه الاستراتيجيّة دون غيرها، والأساليب اللغويّة المستخدمة في هذه الاستراتيجيّة بشكل عامّ.

المبحث الأول: الخطاب.

المطلب الأول: الخطاب لغة واصطلاحاً.

أ. الخِطاب لغة:

الخَطْبُ هو: "الشأن أو الأمر، صَغُر أو عظُم، وقيل هو: سبب الأمر... والخَطْبُ: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال... والخِطَابُ والمُخَاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبهُ بالكلام مُخَاطَبَةً وخِطَابًا، وهما يَتَخَاطَبَانِ"[1]. وفي تاج العروس، قال: "المَخْطَبَةُ: الخُطْبَةُ والمُخَاطَبَةُ: مُفَاعَلَةٌ من الخِطَاب والمُشَاوَرَة"[2]. وفي العين: "المخْطَبَةُ الخِطْبَة، إنْ شِئت في النكاح، وإن شئت في الموعِظة"[3]. وقال ابن فارس: "الخاء والطاء والباء أصلان أحدهما الكلام بين اثنين، يقال

---

[1] ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، مادة: خطب.

[2] الزبيدي، محمد. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: ضاحي عبدالباقي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 2001، مادة: خطب.

[3] الفراهيدي، خليل بن أحمد. العين، تحقيق: محمود هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، مادة: خطب.

خاطبهُ يُخاطِبهُ خِطابًا، والخُطْبة من ذلك. والخَطْب: الأمرُ يقع؛ وإنما سُمّي بذلك لِما يقع فيه من التَّخاطب والمراجعة[1].

نلاحظ مما سبق أن لفظة الخِطاب في المعاجم العربيّة تدل على الكلام الذي يجري بين اثنين، ويدل جذره اللغوي- خَطْب- على الأمر الجليل الذي يكثُر فيه التخاطب. ويؤكد ذلك الاستخدام القرآني، إذ لم يرد الخَطْبُ إلا مقترنًا بشيء خطير، يحمل معه دلالات الهلاك والإنذار. ومن ذلك، قوله تعالى عن داوود- عليه السلام- ذاكرًا نعمه:﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾[2]. وفي موطن آخر، ورد الخطاب، بمعنى قوة المحاجّة في الكلام والدفاع عن النفس، كلما استدعى الأمر ذلك، وذلك في قوله:﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾[3]. وفي موطن ثالث بمعنى الحوار، قال تعالى:﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾[4].

وبالنظر في المواطن الثلاثة السابقة، نجد أن المعاني الوظيفية للخِطاب تدور حول معانٍ ثلاثة: الكلام البليغ، الحجّة المؤثّرة، الحوار بين طرفين متقابلين[5].

وفي مواطن أخرى من القرآن الكريم، وردت كلمة خَطْب، في ثلاثة مواضع مقترنة بالاستفهام، الأول: قوله تعالى على لسان موسى- عليه السلام:﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾[6]. والثاني قوله على لسان لوط- عليه السلام: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾[7]. والثالث قوله على

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، ص198.

(2) سورة ص، آية 20.

(3) سورة ص، آية 23.

(4) سورة النبأ، آية 37.

(5) انظر: القضاة، فريال محمد. الخطاب العقلي في القرآن، دار العالم العربي، دبي، 2009، ص50.

(6) سورة طه، آية 95.

(7) سورة الحجر، آية 57.

لسان العزيز في سورة يوسف- عليه السلام: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ﴾[1]. وعند النظر في هذه المواطن نجد أنّها توحي بالشدة في القول من قبل الطرف الأول في الحوار، حيث يطلب من الطرف الآخر خَطْبًا يتجاوز معنى المطالبة بالرد فقط، بل المطالبة بالحجة أيضًا[2].

وفي مواطن أخرى من القرآن الكريم، أيضًا، ورد الفعل المشتق من لفظ خطاب في ثلاثة مواضع: الأوّل والثّاني قوله لنوح – عليه السلام– في سورتي هود والمؤمنون: ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[3]. والثالث قوله في سورة الفرقان: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾[4]. وعند النظر في هذه المواطن الثلاثة، نجد أنّها تدل على أن الخطاب كلام طرفٍ لطرف آخر أمامه[5].

ومما سبق يتضح أن الخطاب لا بدّ أن يكون قائمًا بين اثنين على الأقل؛ للوصول إلى الغاية المطلوبة.

ب. الخطاب اصطلاحًا:

اختلف تعريف الخطاب تبعًا للميادين المختلفة التي تناولته، وقد ورد لفظ الخطاب عند العرب قديمًا، كما ورد عند الغربيين مع بعض التقارب في معناه[6].

---

[1] سورة يوسف، آية 51.

[2] انظر: القضاة، مرجع سابق، ص50.

[3] سورة هود، آية 37، وسورة المؤمنون، آية 27.

[4] سورة الفرقان، آية 63.

[5] انظر: الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص34.

[6] انظر: حمادي، إدريس، الخطاب الشرعي وطرق استثماره، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994، ص21.

وقد عرفه الجويني بأنه: "ما فهم منه الأمر والنهي والخبر"[1]، وعرفه الآمدي بقوله: "إنه اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[2].

وعرفه الشهري، بقوله: "كل منطوق موجه به إلى الغير للتعبير عن قصد المرسل ولتحقيق هدفه"[3].

وفي معجم المصطلحات النحوية والصرفية، الخطاب: " حال من حالات الكلام. والخطاب لا يتحقق إلا بالمشاركة، ولمفهومه مدلولان- أحدهما اللفظ الموضوع لذلك كضمائر الخطاب المتصلة والمنفصلة. وثاني المدلولين- التركيبات الكلامية التي توجه مضموناتها إلى المخاطبين وذلك كشأن أي كلام يوجهه المتكلم إلى مخاطبه. وعلى هذا تكون دلالة الأول على الخطاب دلالة ذاتية للفظ، ودلالة الآخر عليه دلالة يعيّنها السياق والمقام"[4].

وفي الثقافة الغربية نجد أن الخطاب حظي باهتمام الألسنيّين تحديدًا وتحليلاً، فقالوا في تعريف الخطاب: إنه الوحدة اللغوية المكتملة التي تمتدّ فتشمل أكثر من جملة. وقيل، هو: مجموعة دالة على أشكال الأداء اللفظي تنتجها مجموعة من العلامات[5]. وفي المعجم الإنجليزي، الخطاب هو: مصطلح عام لأمثلة اللغة. أو هو اللغة الناتجة عن أفعال التواصل[6]. وبما أن مفهوم الخطاب ناله التعدد والتنوع، إلا أنه لا يخرج عن دلالتين، هما[7]:

1. الملفوظ الموجه إلى الغير لإفهامه قصدًا معينًا.

---

(1) الجويني، عبدالملك. الكافية في الجدل، تحقيق: فوقيّة حسين، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، 1979. نقلا عن: إدريس حمادي، مرجع سابق، ص 21. ولم أجد ذلك في المرجع الأساس.

(2) الآمدي، علي. الإحكام في أصول الأحكام، ط: 2، تحقيق: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986، ج: 1، ص 136.

(3) الشهري، مرجع سابق، ص 36.

(4) المبدي، محمد سمير. معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص 76.

(5) انظر: عزيز، صالح. جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، دار الزمان، دمشق، 2010، ص43.

(6) انظر: القضاة، مرجع سابق، ص 21.

(7) انظر: الشهري، مرجع سابق، ص37.

2. الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة.

ولعل السبب وراء هذا التعدد والتنوع في تعريف الخطاب عند المتأخرين، هو تأثير الدراسات التي أجراها الباحثون على الخطاب، والاتجاهات التي سلكوها.

وأخيرًا، شاع استعمال مصطلح الخطاب لدرجة أن بعض الباحثين، بل أكثرهم، تركه دون تعريف أو تحديد، وكأن استعماله أصبح أمرًا بديهيًا وبسيطًا لدى الجميع[1].

المطلب الثاني: الخطاب في الثقافة العربية

اهتم العلماء العرب، المتقدمون والمحدثون، بدراسة الخطاب، وتناولوه من جوانب متعددة، إلا أن الدراسات المختصة والمؤصلة للمنهج التداولي، كانت نادرة، بيد أنها لم تغب بصورة عامة، إذ وردت في صور مبثوثة ومتفرقة في بعض المؤلفات اللغوية بصورة عامة، مثلما تجسّد في بعض المؤلّفات النحوية، ومنها الكتاب لسيبويه، وشرح المفصل لابن يعيش، وهمع الهوامع للسيوطي، وغيرهم. كما تجسّدت في مواضع متفرقة من الخصائص لابن جنّي[2]. ونجدهم اشترطوا الإفادة من الكلام، قال ابن مالك في ألفيّته: "كلامنا لفظ مفيد كاستقم"[3].

و اهتم البلاغيون أيضًا، بالخطاب وربطوه بالسياق، وظهرت دراسات كثيرة، كدراسات ابن سنان الخفاجيّ في سر الفصاحة، والسكاكيّ في مفتاح العلوم، والجرجانيّ في أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، والجاحظ في البيان والتبيين، والعلويّ في الطراز، بالإضافة إلى ما جاء في مقدمة ابن خلدون[4].

---

[1] انظر: قسمية، دليلة، استراتيجيات الخطاب في الحديث حول الشريف، رسالة ماجستير، ص15.

[2] انظر: الشهري، مرجع سابق، مقدمة كتابه، ص X.

[3] انظر: المرادي، الحسن. توضيح المقاصد والمسالك في شرح ألفيّة ابن مالك، تحقيق: عبدالرحمن سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، ص 267.

[4] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص7.

ولعل أهم هذه الدراسات ما قدمه الجرجانيّ في نظرية النظم، في بعض جوانبها، حيث جعل النظم دليلاً على كفاءة المرسل الذهنية التي يعتمد عليها في إنتاج خطابه[1]. وبجانب الجرجاني نجد السكّاكيّ يشترط معرفة الصرف، والنحو، والبلاغة، معرفة تامة، تتيح للمرسل إنتاج خطابه من خلالها[2].

ولم يقتصر الاهتمام بالخطاب على العلوم اللغوية البحتة، بل تجاوز ذلك إلى علوم أخرى، كتفسير القرآن، وربط الآيات بأسباب النزول، وكذلك علم الأصول والفقه، وعلم الكلام، وقد احتوت هذه العلوم، بعض النظريات التي تضاهي أحدث النظريات المعاصرة[3].

ولعل أكثر ما ورد لفظ الخِطاب، نجده عند الأصوليين. يقول صابر الحباشة: "فغني عن البيان أن مفهوم الخِطاب من أكثر المفاهيم دورانًا على ألسنة علماء أصول الفقه قديمًا، ولا نحتاج إلى كبير عناء كي نقف على شدة تواتر هذا المفهوم في كلامهم. كيف لا، وهو مفهوم محوري في دراستهم الأصولية. فهذا السّرْخسيّ يجمع أسماء صيغ الخطاب في استعمال الفقهاء، وأحكامها في هذه الأسماء الأربعة: الظّاهِرُ والنّصُّ والمُفَسَّرُ والمُحْكَمُ، ولها أضداد أربعة: الخفيّ والمُشْكِل والمُجْمَل والمتشابِه. ولا ننسى القاعدة الأصولية الشهيرة القائلة: إن العبرة لعموم الخطاب لا لخصوص السبب"[4]. وفي الجانب نفسه، يقول مسعود صحراوي: "إن علماء أصول الفقه، كانوا أحسن المستثمرين لظاهرة الخبر والإنشاء في إطارها التداوليّ، معتمدين مقولات سياق الحال ومبادئه، ووضع المتكلم، وموقعه من العملية التواصليّة، وغرضه من الخطاب، وطبقوها على نصوص القرآن والسنّة؛ بغرض دراسة المعاني الوظيفية لتلك النصوص، وهي المعاني التي تطرأ

---

(1) انظر: الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984، ص 80.

(2) انظر: السكّاكي، يوسف. مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص 6.

(3) انظر: الشهري، مرجع سابق، ص 7.

(4) الحباشة، صابر، الأسلوبية والتداولية مداخل لتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد، 2011، ص101.

على القول وتتغيّر من مقام إلى آخر، وعلاقة تلك المعاني بقائلها، وعلاقة ذلك كلّه بظروف القول وملابسات الخطاب»[1].

وعلم الأصول، حقل معرفي خصب تضافر على إغنائه تداخل المواقف والرؤى، وكثرة الاستنتاج والتأويل في مجال النصّ الديني، وقد اتصل الخطاب بكلام الله، الذي يُعدّ خطابًا إبلاغيًا يُوجّه إلى المتلقين في صورة لفظية قائمة على إفهام وتأثير[2].

وحديثًا، نجد مجموعة من الباحثين العرب، المتأثرين بالثقافة الغربية، تناولوا الخطاب من جوانب متعددة، نذكر منهم: طه عبد الرحمن، في دراساته التداوليّة التي تعالج الخطاب والحوار والحجاج من وجهة نظر فلسفية، وأخرى لغوية، ومحمّد يونس علي، الذي بحث في كيفيّة تحليل الفقهاء للخطاب الفقهي تحليلاً تداوليًا، في سبيل استخراج الأحكام الشرعيّة والتقعيد لها وتصنيف مراتبها، وأحمد المتوكل، الذي حاول أن يوفّق بين الدراسات القديمة والنظريّات الحديثة من خلال النحو الوظيفي. وهناك بعض الدراسات ذات المنهج البلاغي، ومن أبرزها دراسات محمّد عبد الله العُمَري، وبخاصّة دراسته: "في بلاغة الخطاب الإقناعي"، الذي حاول أن يطبق ما ورد عن أرسطو، على الخطاب الإقناعي في صدر العهد الإسلامي[3].

---

[1] صحراوي، مسعود. التداوليّة عند العلماء العرب: دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي، دار الطليعة، بيروت، 2005، ص 224.

[2] انظر: عزيز، جماليات الإشارة النفسيّة، مرجع سابق، ص42.

[3] انظر: الشهري، مرجع سابق، مقدمة كتابه، ص xii.

المطلب الثالث: الخطاب في الثقافة الغربيّة

تنوعت الدراسات الغربيّة حول الخطاب بشكل عام، في اتجاهين: اتجاه شكلي، وآخر تواصلي. فالاتجاه الشكلي، عالج النظام اللغويّ بمعزل عن السياق الاجتماعيّ التواصليّ، مهتمًا بمستويات اللغة المعروفة، كالمستوى الصوتيّ بشقيه: "الفونتيكي"، و"الفونولوجي"، وفي المستوى التركيبيّ والدلاليّ. وينقسم هذا الاتجاه إلى قسمين: بنيويّ، وهو الذي يهتم بدراسة الخطاب في صورته الآنية، بصرف النظر عن السياق الذي أُنتِج فيه، أو علاقته بالمرسل وقصده بإنتاجه، ويتم ذلك من خلال تحليل مستويات لغة ذات بنية كلية، وإيجاد العلاقة بين هذه المستويات، ابتداء من تحليل الأصوات والصرف والتراكيب إلى تحليل مستوى الدلالة[1].

والقسم الآخر، توليدي، وهو الذي يهتم بتفسير الظاهرة اللغوية في عمقها، قبل التلفظ بالخطاب، ويمثله: النحو التوليديّ والتحويليّ. فالنحو التوليديّ يهتم بالدرس اللغوي من ملاحظة الظواهر ووصفها إلى محاولة تفسيرها ووضع النظرية. ولذلك، نجده يعتمد على المنطق والرياضيات في تقعيده، مضفيًا على اللغة الصبغة العلمية المنضبطة، متخذًا من الجملة أساسًا في التحليل. ومع تطور الدراسات في هذا المجال، انتُقد هذا الاتجاه كونه وقف عند حد الجملة، مما دعا إلى دراسة اللغة في مستوى أكبر من الجملة، وهي دراسة الخطاب. إذ يدرس الخطاب بوصفه بنية كبرى، من خلال بيان العلاقة بين وحداته وفهمها شكليًا[2].

أما الاتجاه التواصلي، فقد رأى عدم كفاية الدراسة الشكلية، بل يجب تطوير الدراسات اللغوية بدراسة استعمالها في التواصل ضمن إطاره الاجتماعي. مما استدعى دراسة السياق الذي يجري فيه التلفظ بالخطاب اللغوي بدءًا من تحديده، بمعرفة عناصره ودور كل عنصر منها في

---

[1] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص 8.

[2] نفسه، ص9.

تشكيل الخطاب وتأويله، وكذلك دراسة افتراضات المرسل عند إنتاج خطابه ووسائله وأهدافه ومقاصده، ومعرفة أنواع السياق النفسي والاجتماعي، وتأثير كل منها على الخطاب[1].

وقد تمثل الاتجاه التواصلي في مناهج كثيرة، منها: الدراسات التداوليّة، والنحو الوظيفي، واللسانيات الاجتماعيّة، وتحليل الخطاب؛ بالاستفادة من بعض العلوم، كعلم الاجتماع وعلم النفس، وغيرها. وبالرغم من تعدد هذه الدراسات، إلا أنه يمكن وضعها في إطار عام، وهو التواصل. وقد حاول الباحثون تحديد فعل التواصل، ومعرفة كيفية حدوثه، ومعرفة الاستراتيجيات التي يستخدمها المرسل ليتواصل مع الآخرين، ومعرفة العوامل التي تجعله يختار ما يناسبه منها[2].

وبهذا، يتضح الفرق بين الاتجاهين– الشكلي والتواصلي– فالأول اهتم بدراسة النظام اللغوي دراسة شكليّة بمعزل عن السياق، أما الآخر، فقد تعدى ذلك ودرس النظام اللغوي مرتبطًا بالسياق، وإدراك تأثيره في بنية الخطاب. إلا أن دراسة اللغة لا تقتصر على أحد الاتجاهين، بل يجب الأخذ بهما، فلكلّ اتجاه مهمة، فإذا كانت مهمة الاتجاه الشكلي اكتشاف القواعد وتصنيفها والتمثيل لها، فمهمة الاتجاه التواصلي، توظيف تلك القواعد وإدراك مدى تمثّلها لمتطلبات السياق.

يقول محمود نحلة: "إن دراسة اللغة دراسة شكليّة معزولة عن السياق الاجتماعي والثقافي لا يزال أمرًا منقوصًا. لا يكتمل إلا بوضع هذه الدراسة الشكليّة على محك الاستعمال، فهو وحده القادر على أن يسددها، ويمنحها كثيرًا من الحيوية والانطلاق والقبول"[3].

بعد هذا العرض السريع لاتجاهات الدرس اللغوي عند الغربيين بشقّيه: الشكليّ والتواصليّ، نقف عند أبرز الجهود الغربية التي تناولت الخطاب:

---

[1] انظر، الشهري، مرجع سابق، ص 10.

[2] نفسه، ص 10.

[3] نحلة، محمود. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص53.

ارتبط الخطاب عند الغربيين بفكرة الثنائية- اللغة والكلام- التي وضعها "دي سوسير" الذي ميز بدقة بين اللغة والكلام، واللغة عنده نتاج اجتماعي لملكه اللسان. فاللغة ظاهرة عامة يشترك فيها أفراد مجتمع معين، في حين أن الكلام هو كل ما يلفظه الفرد من المجتمع الواحد. وينشأ الكلام عند "دي سوسير"، انطلاقًا من الدائرة الكلامية التي تفترض وجود شخصين على الأقل- متكلم ومخاطب- وتكون نقطة انطلاق الدائرة الكلامية كامنة في دماغ أحد الطرفين، فيكون بذلك هو المتكلم. ومع اهتمامه بضرورة وجود طرفين عند إنتاج خطاب، وباللغة بوصفها نظامًا، إلا أنه أهمل الكلام، لأنه يتحقق في صور متعددة لا يمكن حصرها، ويتعذر دراستها في الواقع. هذا الإهمال، كان محل اهتمام اللغويين واجتهادهم، فحاولوا بذلك، وضع مفهوم دقيق للخطاب[1].

وبالعودة إلى القواميس اللغوية، نجد أن الخطاب له معانٍ متعددة. فهذا "جون ديبو" يعرّفه بقوله: هو الكلام الموضوع في الاستعمال. وهو بهذا المفهوم مرادف للكلام. أو هو: الوحدة المساوية أو الأعلى من الجملة، بحيث يكون رسالة لها بداية ونهاية. وهو بهذا المفهوم، مرادف للملفوظ[2].

وتبع ذلك الكثير من الدراسات، والعديد من التعريفات للخطاب، ولعل السبب في ذلك؛ هو تباين الاتجاهات التي ينتمي إليها الباحثون، فكل تعريف يمثل وجهة نظر اتجاه معين. وهذا الكم من التعريفات زاد من دائرة الغموض التي تحيط بالخطاب. ولعلّ أبرز الإسهامات الغربيّة في تحليل الخطاب تتمثّل فيما يأتي:

---

[1] انظر: قسمية ، مرجع سابق، ص 16.

[2] نفسه، ص 17، وما بعدها.

1- (هاريس): يكاد الدارسون يجمعون على ريادته في مضمار تحليل الخطاب، استنادًا إلى بحثه الموسوم بـ "تحليل الخطاب"، الذي حاول فيه توسيع موضوع البحث اللسانيّ بجعله يتعدى الجملة إلى الخطاب[1].

2- (بنفست): جاء بعد هاريس؛ ليقيم مع غيره من اللسانيّين مفهوم التلفظ، الذي يتيح دراسة الكلام ضمن مركزية نظريّة التواصل، ووظائف اللغة، متجاوزًا مصطلح الملفوظ الذي يمثّل موضوعًا لغويًا منجزًا ومغلقًا ومستقلاً عن الذات المنجزة[2].

3- (هاليدي ورقيّة حسن): جاءا بعد بنفست، وقد تطورت الدراسات النصيّة بعد ظهور كتابهما: "الاتساق في اللغة الإنجليزية"، حيث قدم الباحثان النص بوصفه وحده دلالية، وبحث الكتاب في وسائل الاتساق، كالإحالة والوصل والاتساق المعجمي[3].

4- (فان ديك): تمثل منجزاته، حلقة مهمة في سلسلة تطور الخطاب ضمن ما يعرف بلسانيّات النص، ويُعدّ كتابه: "النص والسياق" مثالاً ناضجًا في هذا المجال[4].

5- (روبرت دي بوجراند): ألف كتابه: "النص والخطاب والإجراء"، الذي حاول فيه تأصيل علم النص، منطلقًا من نقد الوصفيّين والتوليديّين، الذين قاموا بقولبة اللغة، والاعتماد على المنطق الصوري والرياضي، حيث تركّزت دراسته على مبدأ التفاعل النصي بين المستويات[5].

6- (يول و براون): صدر للمؤلفين كتاب أساسي في مجال تحليل الخطاب، وهو: "تحليل الخطاب"، حيث تم التركيز فيه على أهميّة المتكلم والمستمع، وجعلهما قلب العملية التواصلية،

---

[1] انظر: يقطين، سعيد. تحليل الخطاب الروائي، ط: 3، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص 17.

[2] نفسه، ص 19.

[3] انظر القضاة، مرجع سابق، ص 26.

[4] نفسه، ص27.

[5] نفسه، ص29.

متجاوزين بذلك بعض الاتجاهات اللسانية التقليدية، التي تركز على شكل اللغة بعيدًا عن السياق التواصلي لها[1].

بعد ذلك، تطور البحث حول تحليل الخطاب من منظور ألسني نقدي، حيث ظهرت النظرية النصّية بتطور اللسانيات الحديثة من جانب، والدراسات النقديّة الشكلانيّة من جانب آخر، والسيميولوجيا من جانب ثالث. ويشير الدارسون إلى دور اللغويّين الرّواد التأسيسي في ترسيخ النظريّة النصيّة، وتطوير الدراسات النقديّة المرتبطة بها ضمن المنظور البنيوي- مثل: "دي سوسير" "رومان ياكبسون". ثم ظهرت بعد ذلك، جماعات ومدارس مختلفة ضمن الإطار السيميائي السردي، منها: جماعة تيل كيل- "كريستيفا، بارت"، حيث مثّلت هذه النظرية خصوصيّة لهذه الجماعة الفرنسية وكان لها دور مهمّ في وضع، وتحديد، وتصنيف مصطلحات نصيّة عديدة. ثم تأتي بعد ذلك، إسهامات "بول ريكور"، من خلال دراسته: "من النص إلى العمل"، حيث يرى أن النص هو كل خطاب مثبت بواسطة الكتابة. تبع ذلك، إسهامات للتفريق بين مصطلحي الخطاب والنص، حيث رأى السرديّون البنيويّون مثل: "جينيت، وتودورف، وفاينريش"، عدم وجود فرق بين الخطاب والنص. على عكس بعض الدارسين، مثل: "شلوميت، وفاولر، ولينش"، الذين يرون أن ثمّة فروقًا بينهما، إذ يرون أن للخطاب وظيفة تواصليّة، وللنصّ وظيفة نصيّة، يتم الربط بينهما من خلال مجموعة من العناصر المنتمية إلى الخطاب. وأخيرًا إسهامات: "ميشيل فوكو"، حيث يتجلى للخطاب عنده مفهوم ثقافي ذو بعد فلسفي، حفر أبرز مصطلحاته عبر مقولاته الحفريّة، التي انتهت بقوله: أننا بدل أن نحدد مفهوم الخطاب زدنا من غموضه[2].

---

[1] انظر: القضاة، ص 33.

[2] نفسه، ص35، وما بعدها.

المبحث الثاني: السياق

المطلب الأول: السياق لغةً واصطلاحًا

أ. السياق لغةً:

يأتي بمعنى المتابعة، وفي اللسان: "السَّوْق: معروف. ساق الإبل يسُوقها سوقًا وسياقًا، وتساوقت الإبل أي: تتابعت[1]. وفي أساس البلاغة: "فلان يسوق الحديث أحسن سياق... وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئت بالحديث على سُوقِه: على سرده"[2]. قال ابن فارس: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشَّيء. والسَّيْقة: ما استيق من الدوابّ. ويقال سُقت إلى امرأتي صَدَاقها، وأسَقْتُه. والسُّوق مشتقّةٌ من هذا، لما يُساق لها من كلّ شيء، والجمع أسواق. والسّاق للإنسان وغيره، والجمع سُوق، إنّما سمّيت بذلك لأنّ الماشي يُساق عليها. ويقال امرأة سَوقاء، ورجلٌ أسَوق، إذا كان عظيم الساق. والمصدر السَّوَق"[3].

ب. السياق اصطلاحًا:

مرَّ مصطلح السياق بتحولات كثيرة حتى استقرّ على المعنى المعروف اليوم. وقد تكون كتب التفسير من أوائل الكتب التي تبلور فيها معنى السيّاق كمصطلح. وقد عرّفه بعض المفسرين، بقولهم: هو الكلام الذي خرج مخرجًا واحدًا، واشتمل على غرض واحد هو مقصد المتكلم، وقد يأتي السياق بألفاظ أخرى، كالمقام، ومقتضى الحال، وغيرهما[4].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة: سوق.

[2] الزمخشري، أساس البلاغة، مادة: سوق.

[3] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: سوق.

[4] انظر: العموش، خلود، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، إربد، 2005، ص25.

وفي المعاجم الحديثة، يعرّف السياق، بأنه: "بيئة الكلام ومحيطه و قرائنه"[1]. ويعرّفه آخرون، بأنه: "علاقة البناء الكلي للنص بأي جزء من أجزائه"[2]. وعرّفه رفاعي، بقوله: "هو قطعة من الكلام المكتوب، تعطي أمكانية تحديد معنى الكلمة الداخلة في الكلام بدقة"[3].

وتعدّدت تعريفات السّياق، شأنه في ذلك شأن الخطاب، وذلك بحسب اختلاف الميادين والاتجاهات، إلا أن الجميع يتّفق على أن للسيّاق دورًا مهمًّا في تفسير الكثير من العمليات المصاحبة لأداء اللغة في وظيفتها التواصليّة والإبلاغيّة، لدى كل من منتج الخطاب والمتلقي، وأنّه ركن أساس في فهم الرّسالة اللغويّة[4].

وللسياق نوعان: "مقاميّ، ومقاليّ، فالسياق المقاميّ يتعلق بمناسبة القول، والظروف الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية، أما المقاليّ، فيتعلق بأساليب المجموعة اللسانية في بناء الكلام في الإسناد، ونسبة دخول مستوى لهجي على آخر في لسانها المبين" [5]. وعليه، فإن لكل نوع مهمة، فإذا كانت مهمة الأول، إزالة اللبس عن الجملة، فإن مهمة الآخر، إزالة اللبس عن الكلمة نفسها[6].

---

[1] البعلبكي، رمزي، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، بيروت، 1995، ص119.

[2] الخولي، محمد، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص57.

[3] انظر: رفاعي، محمد المهدي، السياق في كتب التفسير، الكشاف وتفسير ابن كثير نموذجًا، رسالة ماجستير، ص15

[4] انظر: العموش، مرجع سابق، ص26.

[5] يوسف، حمزة. رؤية لسانية في الإعجاز القرآني، دار رند للنشر والتوزيع، دمشق، 2010، ص 37.

[6] انظر: العموش، مرجع سابق، ص 27.

المطلب الثاني: السياق في الثقافة العربيّة

امتدت الجهود العربية في معالجة السيّاق في عدة مجالات، كعلوم اللغة والنحو، وعلوم البلاغة، وعلوم القرآن والتفسير، وأصول الفقه. وقد ترك أعلامنا الأوائل إرثًا كبيرًا حول هذا الموضوع، يتضح من خلال النظر في النصوص المختلفة بمختلف مجالاتها. ومع أنهم لم يفردوا السياق ببحث مستقل، إلا أنهم تناولوه بكثرة في بحوثهم المختلفة[1].

يعرّف النحاة الكلام بقولهم: "هو ما تحصل به الفائدة، سواء كان لفظًا، أو خطًا أو إشارة، أو نطق به لسان الحال"[2].

ويقول ابن جنّي: "فلو كان استماع الأذن مغنيًا عن مقابلة العين مجزئًا عنه لما تكلف القائل، ولا كلّف صاحبه الإقبال عليه، والإصغاء إليه، وعلى ذلك، قالوا: رُبَّ إشارةٍ أبلغ من عبارة، وقال لي بعض مشايخنا رحمهم الله: أنا لا أحسنُ أن أكلّم إنسانًا في الظلمة"[3]. وفي هذا القول، استحضار لما لتأثير عناصر الموقف الخارجي في استعمال اللغة على مواقف الخطاب، ومما يصاحبها من حركة اليدين، أو الإيماءات، ونحو ذلك[4].

وذكر في موضع آخر من كتابه، في حديثه عن الحال وشاهد الحال: "أن المحذوف إذا دلّت عليه الدلالة، كان في حكم الملفوظ به"[5].

وقد لاحظ اللغويّون العرب أن الأحوال الاجتماعية تؤثر في أنماط الكلام، وأنواعه، بحيث يكثر تداول ألفاظ معيّنة في مواقف خاصّة، كالألفاظ المستخدمة في مخاطبات الملوك والأمراء، وكذلك الألفاظ التي لا يحسن التفوه بها في المجالس، ونحو ذلك. وقد أودع ابن شيث القرشي في

---

[1] انظر: رفاعي، مرجع سابق، ص71.

[2] ابن هشام، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محي الدين، دار الطلائع، القاهرة، 2004، ص53.

[3] ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد النجار، دار الكتب المصرية، ج1، ص247.

[4] انظر: العموش، مرجع سابق، ص42.

[5] ابن جني، مرجع سابق، ج1، ص248.

كتابه "معالم الكتابة"، أمثله عديدة لألفاظ تدخّلَ العُرف الاجتماعي في تحديدها. كما أننا نجدهم يراعون الحال التي يدخل عليها المقال، كما في جمعهم الأمثال، فقد نُقل عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قوله: يجيءُ في الأمثال ما لا يجيءُ في غيرها. وكذلك نُقل عن سيبويه، أنه يقول: إن الأمثال قد تخرج عن القياس، فتحكى كما سُمعت. وفي علم الدلالة، نجد اهتمامهم بالسياق، ودوره في البحث الدلالي واضحًا، ومن ذلك تصنيف الألفاظ في مجموعات على أساس سياقي، كالمترادف، والأضداد، والمشترك اللفظي، ونحو ذلك[1].

وأما علماء البلاغة، فإنه لا يخفى اهتمامهم بالسياق، وهذا واضح بداية من مقولتهم الشهيرة: لكلّ مقام مقال؛ حيث ربطوا الصياغة بالسياق، وأصبح المعيار لديهم في الحسن والقبول مناسبته لمقتضى الحال. أي الكلام. قال السكّاكيّ: "فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحُسن الكلام تجريده من مؤكّدات الحكم، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحُسن الحكم تحلّيه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفًا وقوة، وإن كان مقتضى الحال طيّ ذكر المسند إليه فحُسن الكلام تركه..."[2]، ونلاحظ اهتمام السكّاكيّ بالسياق في قوله هذا، إذ تحدث عن الأحوال والسياقات التي ترد فيها أنواع الصياغة، بما تحويه من خواص تركيبية في الجملة. وقريبًا من السكّاكيّ، نجد القزويني، يوضّح اهتمامه بالسياق، وطبيعة الأحداث المرافقة للكلام. قال في تعريف البلاغة: "وأما بلاغة الكلام فهي: مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته. ومقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام التنكير يُباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يُباين مقام التقييد... ، وكذا خطاب الذكيّ يُباين خطاب الغبيّ"[3]. وشدّد ابن قتيبة على ضرورة مراعاة المقام، واختيار الألفاظ

---

(1) انظر: العموش، مرجع سابق، ص49 وما بعدها.

(2) السكاكي، مرجع سابق، ص169.

(3) القزويني: جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص11.

المناسبة، قال: "فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلامًا في نكاحٍ أو حَمَالة[1] أو تخصيصٍ أو صلْحٍ، أو ما أشبه ذلك، لم يأت له من باب واحد، بل يفتنُّ: فيختصر تارة إرادة التخفيف، ويُطيل تارة إرادة الإفهام، ويكرر تارة إرادة التوكيد، ويخفي بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين، ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعجميّين، ويُشير إلى الشيء و يكني عن الشيء . وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال، وقدْر الحَفْل، وكثرة الحشد، وجلالة المقام"[2]. وقد تحدث الجاحظ في كتبه في غير موضع عن مراعاة أحوال المخاطبين، وذلك عند حديثه عن الخطاب في القرآن الكريم، فالخطاب قد يكون مختصرًا، وقد يكون فيه إسهاب، بحسب الفئة الموجه إليها الكلام، قال: "ورأينا الله تبارك وتعالى، إذا خاطب العرب والأعراب، أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم، جعله مبسوطًا، وزاد في الكلام"[3].

ومن ضمن جهود البلاغيّين، ما قدّمه الجرجانيّ في مؤلفاته، ولعل أهم ما اتصل بهذا الجانب، حديثه عن النظم، إذ هو تأليف الكلام في سياق محدد يقتضيه علم النحو. قال: "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علمًا لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يُعلَّق بعضها ببعض، ويُبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك..." [4].

وعند النظر في كتب إعجاز القرآن وعلومه، نلاحظ عنايتهم بالسياق. ومنهم الخطابيّ الذي يرسم صورة الائتلاف بين النص والسياق من وجهة، وبين أجزاء النص نفسه في مستويات مختلفة.

---

[1] الحَمَالة: الدّيةُ يحملها قوم عن قوم. انظر: الفراهيدي، العين، مادة حمل.

[2] ابن قتيبة، عبد الله. تأويل مشكل القرآن، ط2، تحقيق: أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، 1973، ص13.

[3] الجاحظ أبو عثمان، الحيوان، ط2، تحقيق: عبد السلام هارون، دار التراث القاهرة، 1965، ج: 1، ص94.

[4] الجرجاني، عبد القادر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 55.

يقول: "وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر، لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض، فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان"[1].

ونلاحظ أن كتب علوم القرآن قد تناولت السياق من جانبين:

الأوّل جانب مقامي: ويتمثل في دراسة أسباب النزول، ونزول القرآن منجمًا، والمكّي والمدني، والناسخ والمنسوخ. والثاني جانب لغوي: ويتمثل في دراسة المناسبة بين الآيات والسور (الاتّساق الداخلي)، مثل: ارتباط الجملة بالجملة في الآية الواحدة، وبين الآية والآية في الآيات المتعددة، وبين السورة وسورة أخرى[2].

وبالانتقال إلى مباحث أصول الفقه، نجد أن للسياق أهمية بالغة، من خلال مجموعة من القضايا، منها: إدراكهم أن اللغة ظاهرة اجتماعيّة نشأت وتكوّنت في أحضان المجتمع؛ لتلبية حاجات الإنسان. وهي في تصورهم: ألفاظ دالة على معانٍ. ومن حيث هي كذلك، يمكن استمداد المعاني من ألفاظها بطريقتين: إما الحصول على المعنى المطلق عن طريق العبارات والألفاظ المطلقة، وهنا تظهر الدلالة الأصلية للفظ. وإما الوصول إلى المعنى عن طريق الألفاظ والعبارات المقيدة. وهنا تظهر الدلالة التابعة، فحين الاكتفاء باللفظ يكون المعنى حرفيًا، وإذا تجاوزنا اللفظ الحرفي إلى الألفاظ المرتبطة، فنحصل على المعنى التابع أو المكتمل للمعنى الحرفي. وهذا هو مصب اهتمام الأصوليين، وعليه يتم استنباط الأحكام من الخطاب وفهم قصده[3].

وقد اعتمد الأصوليّون على السياق في معرفة نوع الخطاب- العام والخاص- من خلال القرائن التي تحف بالخطاب، فهي بمثابة المرجع الذي يعودون إليه في معرفة قصد المتكلم[4]. ويقع

---

(1) الخطابي، حمد بن محمد، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1986، ص36.

(2) انظر: العموش، مرجع سابق، ص36.

(3) انظر: عبد الغفار: السيد أحمد. التصور اللغوي عند الأصوليين، مكتبة عكاظ، ط1، 1981، ص112.

(4) نفسه، ص114.

السياق في مقدمة هذه القرائن التي ترشد على مراد المتكلم، يقول ابن القيم: "السياق يرشد إلى تخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن على مراد المتكلم، فمن أهمله غالط في نظره ومناظرته"[1].

وتحدث الغزالي عن هذه القرائن، وذكر أنها عديدة لا يمكن حصرها في جنسٍ، ولا ضبطها بوصف، بل هي كالقرائن التي يُعلم بها خجل الخجول وجبن الجبان، وكما يعلم قصد المتكلم إذا قال: "السلام عليكم"، أنه يريد التحية أو الاستهزاء واللهو[2].

وبالانتقال إلى علماء التفسير، نجد أن السياق يتجلى بصورة واضحة عندهم؛ حيث استعانوا به للكشف عن المعنى المنشود في القرآن الكريم. وبما أن الغاية التي يستهدفها المفسر، هي: فهم المعاني ورفع الحجاب عن المراد من الخطاب، فإن المعرفة بعناصر الخطاب اللغوية صوتًا وصرفًا ونحوًا ومعجمًا، قضية تفرضها الغاية التي يسعى إليها، وتلك هي أولى الخطوات في السياق[3].

وللمفسرين في البحث عن المعنى في القرآن طريقتان، هما نوعا التفسير: تفسير بالمأثور، وتفسير بالرأي[4].

---

[1] ابن قيم، محمد. بدائع الفوائد، تحقيق: علي العمران، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، م: 4. ص 1314.

[2] انظر: الغزالي، محمد. المستصفى، تحقيق: محمد الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997، ج: 2، ص 115.

[3] انظر: رفاعي، مرجع سابق، ص101.

[4] انظر: الطلحي: ردة الله، دلالة السياق، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ص84 وما بعدها.

ومن الملاحظ أن علماء التفسير يتّفقون على أن أول ما يبدأ به المفسر العلوم اللفظية[1].

وذكر أبو حيان أن المفسّر يحتاج إلى مجموعة من العلوم، منها: علم اللغة، وعلم النحو، وعلم البلاغة، وعلم الحديث، وعلم أصول الفقه، وعلم الكلام، وعلم القرآن، قال: "هذه وجوه لا ينبغي أن يُقدم على تفسير كتاب الله إلا مَنْ أحاط بجملة غالبها[2]. واشترطوا أيضًا، وجوب معرفة الظروف المحيطة بالنص عند تفسيره، لما لهذه الظروف من أثر في تعميم الدلالة، أو الحكم الشرعيّ، أو تخصيصها، وهذا ما يتكفل به السياق[3].

المطلب الثالث: السياق في الثقافة الغربيّة

تطور الدرس اللساني بظهور علم النص، مستفيدًا من جهود "دي سوسير"[4]، وما قدّمه فقه اللغة من أثر واضح في البحث عن قواعد لعلم النص، مثل ما نجده عند: "هنري"، و"فايل"، و"هارفنج"، و"هايدولف"، وعلماء اللسان، مثل، "هاريس"، و"جوناثان كيلر"[5]، كما قام النقد بدور كبير في مساعدة علم اللسان بالكشف عن العلاقة بين النص والسياق، وأدى ذلك إلى ظهور ما يعرف بـ"علم اللغة الأدبي"، وأبرز باحثيه: "ويدسون"، و أسهمت البلاغة الجديدة، هي الأخرى، في تطوير علم النص، ونظرها إلى الخطاب في شكله المتماسك. وهناك دراسات نظرت إلى الخطاب خارج نطاق اللغة، كعلم الانثروبولوجيا والاجتماع، وربط ذلك بالسياق المقامي المحيط بالنص.

---

(1) انظر: الزركشي: بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ط3، تحقيق: محمد إبراهيم، دار التراث القاهرة، 1984، ج: 2 ص173.

(2) انظر: الأندلسي: أبو حيان، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ج: 1، ص105 وما بعدها.

(3) انظر: الطلحي، مرجع سابق ص 89.

(4) انظر: الزناد، الأزهر. نسيج النص، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993، ص 14.

(5) انظر: خليل، إبراهيم. الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997، ص 88.

حيث مهدت هذا الدراسات لإغناء بحوث دارسي السرديات، مثل: "إمبرتوإيكو"، الذي حاول أن يطبق مفاهيم نظرية "الظرف والسياق" على بعض الروايات[1].

وبالرغم من استفادة علم النص من هذه الجهود، إلا أن علم اللغة بقي الميدان الأرحب لدراسة الخطاب، وقدّم علماء مثل: "بلومفيلد"، و"فان ديك"، نظريات جديدة في هذا المجال[2].

كما أن للسانيات الاجتماعية دورًا كبيرًا في معالجة السياق، حيث إنها تأخذ بعين الاعتبار حالة المتكلم، ووضعه الاجتماعي والثقافي. ومن أبرز علماء اللسانيات الاجتماعية: "فيرث" الذي أبرز طريقة اللغة في التكيّف مع عدد من المواقف الاجتماعية، ثم جاء بعد ذلك مجموعة من العلماء، وكان لهم أدوار وإسهامات في هذا الجانب كـ "مالينوفسكي"، و "سابير"[3].

وقد حفزت بحوث "فيرث"، بعض الباحثين الذين تابعوا الدرس السياقي مثل: "هايمز"، و"غيمبرز"، حيث أصدرا كتابًا عنوانه "إثنوجرافيا الاتصال"، وشرحا فيه رؤيتهما لعلمية الاتصال وأطرافها، وأهمية دراسة العناصر غير اللغوية المؤثرة في دلالات الرسالة اللغوية، وأثر وسيلة الاتصال على الأسلوب الذي صيغ به الحدث الكلامي، ضمن الإطار النفسي؛ لأن الأسلوب يخضع لمقتضيات السياق المقامي[4].

كما فصّل عالمان آخران، هما: "كريستال" و " دافي"، معالم النسق المقترح في دراسة الخطاب، وحدّداه بدراسة الخصائص الأسلوبية للمتكلم، والفترة الزمنيّة التي ينتسب إليها الخطاب،

---

[1] انظر: أمبرتو إيكو. القارئ في الحكاية: التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996، ص 18.

[2] انظر: العموش، مرجع سابق، ص 28.

[3] انظر: لطفي، مصطفى. اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، معهد الإنماء القومي، بيروت، 1976، ص 43 وما بعدها.

[4] نفسه، ص 46.

ودراسة وسيلة التوصيل، ونوعية الخطاب، ونوعية العلاقة بين المتكلم والسامع، ودراسة نوع الموقف هل هو جدل أم محاضرة أم شعر[1].

بعد ذلك، قام مجموعة من علماء الدلالة، أمثال: "أولمان"، و"كوهين"، و"كرايسي"، بدراسة السياق من خلال بحوثهم، وقالوا إنه يجب عدم الوقوف عند الكلمات، بل يجب النظر إلى القطع كاملة، وتوضيح دور السياق في فهم الرسالة اللغوية، وربط ذلك بالمجاز[2].

ومن الدراسات التي اهتمت بالسياق وجوانبه، ما قدّمه علماء مدرسة أكسفورد، ومنهم: "أوستين" الذي يرى أن أفعال الكلام محددة ثقافيًا، حيث إنها تعتمد على التقاليد الشرعيّة أو الدينيّة أو المعرفيّة السائدة في مجتمع ما. واقترح أصحاب هذه المدرسة، مجموعة من الوسائل التي يمكن أن تستعمل في التحليل اللغوي للسياق، ومنها: دراسة الصيغة، والتنغيم، والوقوف عند العبارات الظرفية، وأدوات الربط، ولواحق المنطوق كالإيماءة، أو الغمز، أو هز الكتفين، ودراسة ظروف التلفظ بالمنطوق[3].

بعد ذلك، تطور النقد بما يعرف بـ"سوسيولوجيا النص"، وظهر مجموعة من العلماء، منهم: "بيير زيما"، الذي يعتبر أن القيم الاجتماعيّة لا توجد مستقلة عن اللغة. وظهرت أيضًا بعض الدراسات المهتمة بتفسير النص، مثل: دراسات مؤسس علم التفسير: "شلير ميشر"، الذي دعا إلى العودة إلى النص بحثًا عن سياقه ومعناه[4].

أما في مجال اللسانيات الوظيفية، فيكاد عدد من الدارسين يجمعون على أن كتاب: "الأنساق الثقافية في اللغة الإنجليزية"، لـ "هاليدى ورقيّة حسن"، خير ممثل للمنظور اللساني

---

[1] انظر: لطفي، مرجع سابق، ص50- 51.

[2] انظر: العموش، مرجع سابق، ص22.

[3] انظر: عبد الحق، صلاح. التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1993، ص 242.

[4] انظر: العموش، مرجع سابق، ص34.

الوصفي لربط النص بالسياق. تلا ذلك، مجموعة من البحوث والآراء، مثل ما نجد عند: "فان ديك"، في كتابه: "النص والسياق"، الذي يتحدث فيه عن مظاهر الانسجام بين النص والسياق. وفي مجال تحليل الخطاب، يأتي كتاب: "تحليل الخطاب"، لـ "براون و يول"، مقدمًا العديد من الافتراضات التي تحكم اشتغال المتلقي بالخطاب، بهدف اكتشاف انسجامه من عدمه، ومنها أن الخطاب لا يملك في ذاته مقومات انسجامه، وإنما القارئ هو الذي تسند إليه هذه المقومات، وأن كل نص قابل للفهم والتأويل هو نص منسجم. حيث إن هذه المبادئ تؤخذ من السياق وخصائصه[1].

وبعد، فهذه أبرز الإسهامات التي تناولت السياق من جوانب متعددة في الثقافة الغربيّة؛ كل بحسب الاتجاه الذي تنتمي إليه.

المطلب الرابع: عناصر السياق

للسياق عناصر مختلفة، يمكن تحديدها بشكل عام في ثلاثة عناصر[2]:

1. العنصر الذاتي، ويشمل معتقدات المتكلم، ومقاصده، واهتماماته ورغباته.
2. العنصر الموضوعي، ويشمل كل الوقائع الخارجيّة التي تم فيها القول، والمقصود به الظروف المكانيّة والزمانيّة.
3. العنصر الذواتي، ويشمل المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، أو ما يسمى بالأرضية المشتركة.

وبهذا فإن السياق يتمثل في ما يمكن أن يسمى الجو الخارجي للخطاب، وما يحيط به من ظروف وملابسات. ويعد العنصر الشخصيّ من أهم عناصره، ويمثّله طرفا الخطاب: المرسل والمرسل إليه، وما بينهما من علاقة، بالإضافة إلى مكان التلفظ وزمانه. ولا يقتصر أثر هذه

---

[1] انظر: العموش، مرجع سابق، ص38.

[2] انظر: عبد الرحمن، طه. البحث اللساني والسيميائي، الدلاليّات والتداوليات(أشكال وحدود)، كلية الآداب، جامعة محمد السادس، المغرب، 1984، ص 299، نقلا، عن الشهري، مرجع سابق، ص 45.

العناصر على العملية التخاطبية لحظة التلفظ بالخطاب فقط، بل يمتدّ إلى ما قبل إنتاج الخطاب[1].

وبالنظر إلى التداوليات الحديثة، نجد اهتمامًا كبيرًا بطرفي الخطاب، حيث إن الخطاب موجّه من وإلى أحد الطرفين، فلا يمكن فهم الخطاب دون استحضار صاحبه والموجّه إليه، وعليه فهما ركنان أساسيّان في العملية التكلميّة[2].

والمرسل: هو منتج الخطاب وباعثه، بقصد الإفهام والتأثير في المتلقي. وهو الذات المحورية في إنتاج الخطاب، وهو المتلفظ بالخطاب للتعبير عن مقاصده مستعملاً اللغة، فبدونه لا يمكن أن تؤدي اللغة وظيفتها. ومن هذا المنطلق شكّ كثير من اللغويّين في إمكانيّة دراسة الدلالة اللغوية مستقلة عن مستعملها[3].

والمرسل إليه: هو مستقبِل الخطاب، وهو الطرف الآخر الذي يوجّه إليه المرسِل خطابه عمدًا. وقد أشار بعض اللغويّين العرب إلى تأثير المرسَل إليه على المرسِل عند إنتاج خطابه. ومن هؤلاء، سيبويه حيث قال في كتابه: "هذا باب تخبر فيه عن النكرة بنكرة، وذلك قولك: ما كان أحد مثلك...، وإنما حَسُن الأخبار ها هنا عن النكرة حيث أردت أن تنفي أن يكون في مثل حاله شيء، أو فوقه، لأن المخاطب قد تحتاج إلى أن تعلمه مثل هذا"[4].

كذلك ابن جنّي الذي يشترط الرؤية لحصول هدف المخاطب، قال: "يا فلان أين أنت، أرني وجهك، أقبل علي أحدثك... [5]"

---

[1] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص45.

[2] انظر: إدريس، مقبول، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، إربد 2006، ص330.

[3] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص45.

[4] سيبويه، الكتاب، ط3، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، 1988، ج:1، ص54.

[5] ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ج:1، ص247.

أما عند البلاغيين، فإن دور المرسَل إليه، يتجاوز ذلك؛ فبناء الخطاب وتداوله مرهون إلى حد كبير بمعرفة حاله، أو افتراض ذلك الحال[1]. وذهب البلاغيون إلى أنّ أغلب الحالات يكون فيها الخطاب حسب ما يريده السامع لا المتكلم، فالمرسل يستحضر في ذهنه المرسل إليه عند إنتاج خطابه. وفي هذا الجانب، نرى أن السكّاكيّ قسّم المرسَل إليه إلى ثلاثة أقسام[2]:

1. مرسل إليه خالي الذهن مما يلقى عليه.
2. مرسل إليه متردد.
3. مرسل إليه غير متردد (مُنكِر).

ونلاحظ في تقسيم السكّاكيّ أنه انطلق من أن المرسِل حين يتوجه بخطابه إلى المرسَل إليه، يراعي معرفة المخاطب بما يحمله الخطاب، ففي الحالة الأولى، يكون مفتقراً إلى الخبر، فيفيده بقدر حاجته، وبهذا يكون خبراً ابتدائياً. أما الحالة الثانية، حين يكون المخاطب متحيراً، فإنه يأتي بما يؤكد هذا الحكم، وبهذا يكون خبراً طلبياً. أما الحالة الثالثة، حين يكون المخاطب منكراً، فإنه يعمد إلى إضافات أخرى؛ ليعدله عن إنكاره، وبهذا يكون خبرًا إنكاريًا[3].

لإتمام العملية التواصلية في إنتاج الخطاب لا يتم الاكتفاء بطرفي الخطاب- المرسِل والمرسَل إليه- إذ لا بدَّ من وجود علاقة ومعرفة مشتركة بينهما، فالعلاقة بين طرفي الخطاب من أبرز العناصر السياقيّة التي تؤثر في تحديد الطريقة المناسبة للخطاب، وهي ما تسمى بـ "الاستراتيجية"، إذ يجب أن يراعيها المرسل دومًا عند إنتاج خطابه[4].

---

(1) انظر: الشهري، مرجع سابق، ص48.

(2) انظر: السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص171.

(3) نفسه، ص172.

(4) انظر: الشهري، مرجع سابق، ص48.

وتنبع أهميّة هذه المعرفة من كونها الأرضيّة التي يعتمد عليها الطرفان في إنتاج الخطاب والتواصل. فالمرسل من خلالها وبمساعدة العناصر السياقية الأخرى، ينطلق في إنتاج خطابه، كما يعول عليها المرسَل إليه، في تأويله، وذلك حتى يتمكنا من الفهم والإفهام، أو الإقناع والاقتناع[1].

إذن، بواسطة هذه المعرفة، يتمكن كلّ من الطرفين ممّا هو مطلوب منه. فالمرسِل، من خلالها، يختار الطريقة الأمثل لتوصيل هدفه. أما المرسَل إليه فإنه، من خلالها، يصل إلى الهدف وفهم المضمون، وبهذا تكتمل العمليّة التواصليّة على أكمل وجه.

ويمكن تقسيم هذه المعرفة المشتركة إلى الأقسام التالية[2]:

1. معرفة عامة بالمعالم، وتشمل: معرفة طرق تواصل الناس، ومعرفة طرق تفكيرهم، ومعرفة طرق إنجاز الأفعال اللغوية داخل المجتمع، مع مراعاة الأطر العامة كالإطار الديني والإطار الثقافي والإطار الاجتماعي، ونحو ذلك.
2. معرفة نظام اللغة، وتشمل: معرفة جميع مستويات اللغة الخاصة بلغة معينة، وفيها: يشترط أن يكون طرفا الخطاب على قدرٍ متقاربٍ من المعرفة اللغوية.
3. المعرفة التداولية: وتشمل: معرفة الأشكال اللغوية واستعمالها من الطرفين.

وبهذا، ينتهي الحديث عن السياق، وعن دوره المهمّ في فهم العملية التخاطبية، بدءًا من تعريف السياق لغة واصطلاحًا، مرورًا بالحديث عن أبرز الدراسات والإسهامات التي تناولت السياق في الثقافتين العربيّة والغربيّة، وانتهاءً بالحديث عن عناصر السياق وبيان دورها في فهم العمليّة التخاطبيّة.

---

[1] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص49.

[2] نفسه، ص50.

المبحث الثالث: الاستراتيجيّة التوجيهيّة.

يتغير شكل الخطاب تبعًا لتنوع السياق وعناصره، وعليه، فإن المرسل قد يستخدم طرقًا مختلفة متعددة للوصول إلى هدفه. وهذه الطرق هي ما تسمى بـ "الاستراتيجيات". وفي هذا المبحث ستة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الاستراتيجيّة العامّ.

يحقق الإنسان أهدافه من خلال الأفعال التي يمارسها في حياته، وترتبط هذه الأفعال بسياق معين، وبما أن أفعاله مختلفة فإنه يسعى إلى اتباع طرق متباينة تتناسب مع السياق لتحقيق تلك الأهداف، تحت تأثير مجموعة من العوامل والمسوّغات التي تجعله يختار ما يناسبه من هذه الطرق دون غيرها، للوصول على هدفه بشكل سليم. ويُصطلح على هذه الطرق بالاستراتيجيات[1].

وعند النظر في مصطلح "الاستراتيجيات"، نجد أنه دخيل على العربيّة، ويُقصد به الطرق أو الخطط الموضوعة في الحروب العسكريّة، ونحو ذلك. إلا أنه تعدى هذا المفهوم بعد ذلك، ليشمل علومًا معرفية كثيرة.

ويعود أصل هذا المصطلح إلى كلمة يونانية: (Strategos)، وتعني: فن قيادة الحرب. وتأتي بمعنى وضع خطط لحماية الوطن. وفي قاموس أكسفورد، هي: فن تعبئة المعدات الحربية وتحريكها، بما يُمكّن من السيطرة على الموقف والعدو بصورة مباشرة. بعد ذلك، انتقلت كلمة استراتيجيّة من المجال العسكريّ إلى المجال المدنيّ متضمّنةً المعنى نفسه تقريبًا، وهو الوصول إلى هدف وغاية منشودة بأفضل الطرق[2].

---

[1] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص52-53.

[2] انظر: الزنفلي، أحمد، التخطيط الاستراتيجي للتعليم الجامعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص42.

وعُرّفت أيضًا، بأنها: طرق محدّدة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهام، أو هي: تدابير موسومة من أجل ضبط معلومات محدّدة والتحكم بها[1].

ومما سبق، يتضح أن الاستراتيجيّة خطّة معدّة، ومدروسة للوصول إلى هدف محدّد، وبما أنها كذلك، فهي ذات بعدين: بعد تخطيطي، يتحقق في المستوى الذهني. وآخر مادي، يتحقق بالاستراتيجيّة نفسها. ويرتكز العمل في كلا البعدين على الفاعل الرئيس الذي يحلّل السياق ويخطّط له، ليختار من الإمكانات المتاحة ما يضمن له وصول هدفه المطلوب[2].

المطلب الثاني: مفهوم الاستراتيجيّة في الخطاب:

لا يمكن للمرسِل إنتاج خطابه بمعزل عن السياق، كما لا يتجلى الخطاب دون استعمال العلامات المناسبة، وعليه، فقد يستعمل المرسِل اللغة الطبيعية، كما قد يستعمل بعض العلامات غير اللغوية، لينتج خطابًا قد يوصف بأنه نوع من السلوك المتعدّد. فقد يكون سلوكًا مؤدبًا، وقد يكون سلوكًا عدوانيًا، وغير ذلك من الأوصاف. ولكي يصل الخطاب إلى الهدف والقصد من إنتاجه لا بدّ أن يسير ضمن تنظيم محدّد عند التّلفظ به. وهذا التّنظيم، هو ما يسمى بـ "استراتيجية الخطاب". وهذا يعني أن الخطاب المنجز، يكون خطابًا مخططًا له مسبقًا، بصفة مستمرّة وشعوريّة. ومن هنا، يجب على المرسِل أن يختار استراتيجيّة مناسبة يستطيع من خلالها أن يعبّر عن قصده، ويحقّق هدفه بأفضل صورة[3].

وتلعب عناصر السيّاق الاجتماعيّة دورًا مهمًا في تحديد استعمالات اللغة، وفي انتشار بعض الاستراتيجيّات على حساب انحسار البعض الآخر، كاستعمال استراتيجيّة التأدب مقابل استراتيجيّة الجفاء أو استراتيجيّة المراوغة. وعليه، لا بدّ للمرسِل أن يمتلك كفاءة تفوق كفاءته

---

(1) انظر: الشهري، مرجع سابق، ص53.

(2) نفسه، الصفحة نفسها.

(3) نفسه، ص56.

اللغويّة، وهي الكفاءة التداوليّة -القدرة التواصلية- ليستطيع من خلالها اختيار استراتيجيّة مناسبة لخطابه، ولتحقيق هدفه عند التلفظ بالخطاب[1].

وتعد الكفاءة التداوليّة مكونًا فاعلاً ضمن تكوين الإنسان السوي، تمامًا كما هي كفاءته اللغويّة، إلا أن الكفاءة التداوليّة ليست نسقًا بسيطًا، بل هي أنساق متعدّدة ومتآلفة، حيث تتألف هذه الكفاءة لدى مستعمل اللغة من خمس ملكات على الأقل. وهي: الملكة اللغويّة، والملكة المنطقيّة، والملكة المعرفيّة، والملكة الإدراكيّة، والملكة الاجتماعيّة[2].

ويعرّف "ديك" هذه الملكات الخمس على النحو التالي[3]:

1. الملكة اللغويّة: وهي إنتاج وتأويل عبارات لغويّة ذات بنيات متنوّعة جدًا ومعقّدة، في عدد كبير من المواقف التواصليّة المختلفة.
2. الملكة المنطقيّة: وهي القدرة على اشتقاق معارف متنوّعة بواسطة قواعد تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي.
3. الملكة المعرفيّة: وهي تكوين رصيد من المعارف المنظّمة وتخزينها، واستحضارها عند الحاجة لتأويل العبارات اللغويّة.
4. الملكة الإدراكيّة: وهي القدرة على إدراك ما يحيط مستعمل اللغة، والقدرة على الاشتقاق من هذا الإدراك، لإنتاج العبارات اللغوية المختلفة وتأويلها.
5. الملكة الاجتماعيّة: هي معرفة وضبط الكيفيّة التي ينبغي أن يخاطب بها مخاطبًا معينًا في موقف تواصلي معيّن، لتحقيق هدف تواصلي محدّد.

---

(1) انظر: الشهري، مرجع سابق، 57.

(2) نفسه، الصفحة نفسها.

(3) انظر: المتوكل، أحمد. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، الرباط، 1995، ص 17.

بعد ذلك اقترح "ديك" أن يصاغ نموذج مستعمل اللغة الطبيعيّة في شكل جهاز يتكوّن من خمسة قوالب، ولكل من الملكات الخمس قالب تنتمي إليه، وهذه القوالب، هي: القالب اللغوي، والقالب المعرفي، والقالب المنطقي، والقالب الإدراكي، والقالب الاجتماعي[1].

وبما أن الخطاب يتجلى في مادة لغوية بشكل معين، وأن المرسل ينتج خطابه في سياق محدّد، فإن من الممكن تصنيف هذه القوالب في صنفين، صنف يمثل القدرة اللغويّة وصنف يمثل السياق[2].

وقسم أحمد المتوكل، القوالب إلى قسمين انطلاقًا من الأدوار التي تلعبها، قسم سمّاهُ "قوالب الآلات"، وقسم آخر سمّاه "قوالب المخازن"، بحيث يضم القسم الأول القالبين: اللغوي والمنطقي. أما القسم الثاني، فيضمّ القالب المعرفي، والقالب الإدراكي، والقالب الاجتماعي. ويكمن الفرق بين القسمين، في أن القسم الأول- قوالب الآلات- يقوم بإنتاج العبارات اللغوية وتأويلها. بينما يقوم القسم الثاني- قوالب المخازن- بإمداد القسم الأول بما يحتاجه في عمليات الإنتاج والتأويل من عمليات غير لغوية[3].

ويقترب من هذا التصنيف للملكات، ما يسمّيه القرطاجنّي بالقوى، وقد قسّمها إلى ثلاث قوى هي: القوّة الحافظة، والقوّة المائزة، والقوّة الصانعة[4].

وبالنظر في هذه القوى، نجد أن القوة الحافظة هي التي تنظم خيالات الفكر وترتبها؛ لتعطي المرسل ما يناسبه في سياق خطابه. أما القوة المائزة، فيميّز بها المرسل ما يلائم الموضوع والنظم والأسلوب؛ وما يصحّ وما لا يصحّ. وأخيرًا، تتولى القوة الصانعة العمل في ضم أجزاء

---

(1) انظر: المتوكل، مرجع سابق، ص 25.

(2) انظر: الشهري، مرجع سابق، ص58.

(3) انظر: المتوكل، مرجع سابق، ص30.

(4) انظر: القرطاجنّي، حازم. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن خوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 42.

الألفاظ والمعاني والتركيبات النظميّة والمذاهب الأسلوبيّة إلى بعض، والتدرج بها حتى تكتمل كليات هذه الصنعة[1].

إذن، يجب أن تعمل هذه القوالب أو القوى مجتمعة؛ لكي يتم إنتاج خطاب يتعدى صحة التراكيب، للوصول إلى خطاب مناسب للسياق، وللتعبير عن الهدف المطلوب.

ومما سبق، يتبين أهمية الكفاءة التداوليّة – التواصلية – بجانب الكفاءة اللغويّة؛ لأن القوانين اللغويّة تصف ما يستطيع أن يفعله المرسِل والمرسَل إليه في لغة معيّنة. بينما تقوم قوانين التواصل بوصف ما يُستحسن فعله واختيار الاستراتيجيّة المناسبة في موقف ما. وعليه، فإن الكفاءتين تكمّل إحداهما الأخرى، ولكل منهما مهمة؛ فإذا كانت مهمة الكفاءة اللغوية الاستخدام الأمثل للقواعد في لغة محدّدة. فإن مهمة الكفاءة التداوليّة: تحديد الاستخدام السليم للخطابات الناتجة عن استخدام تلك القواعد، مناسبة للسياق[2].

وللكفاءة التداوليّة، أدوار مهمّة في العمليّة التخاطبيّة، فمن خلالها يتمكّن المخاطَب من فَهْم الخطِاب وقصد المرسِل، حتى وإن لم يكن ظاهر الخطاب كذلك، كما في المثال التالي: الجوُّ حارٌّ هنا.

فالمخاطَب، وبما لديه من قدرة تداوليّة، فَهِم قصد المرسِل عند إنتاج خطابه، وتَنبّه إلى أنّ الخبر طلبيّ، وإن عُدَّ خطابًا خبريًا من الوهلة الأولى. كما أنه ينبغي التّنبه بأنه لولا ظروف معينة، وسياق محدّد، لما سُمِح للمرسِل أن ينتج خطابه بهذه الصورة.

ويرى بعض اللغويّين أن الكفاءة التداوليّة تنمو مع الإنسان نموًا طبيعيًا، مثلما تنمو كفاءته اللغويّة. واستدلّوا بذلك على قدرة الطفل على إنتاج خطابات في سياقات معينة. فهو مثلاً يستطيع

---

[1] انظر: القرطاجنّي، حازم. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، مرجع سابق، ص 43.

[2] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص59.

إنجاز فعل لغوي بكلمة واحدة، وذلك عند قوله: ماء. فالإضافة إلى أنه تلفظ بهذه الكلمة، إلا أنّه أنجز فعلاً لغويًا وهو: طلب الماء[1].

وبهذا، ندرك أن استراتيجيّة الخطاب، هي نتيجة لصنعة الكفاءة التداوليّة التي يجب توفرها لدى كل إنسان سويّ. والناس فيها متفاوتون، حيث يستطيع البعض توصيل هدفه، بينما يخفق غيره. ومرد ذلك، إلى أن الخطاب في قسمه الأكبر كلام. إلا أنه كلام يجري مجرى الفعل، وبهذا فهو عمل ماهر يجب أن يتقن[2].

وبعد كل ما سبق، يمكن تعريف استراتيجيّة الخطاب، بأنها: الطريق الأمثل الذي يتّخذه المرسِل عند التّلفظ بخطابه، لتنفيذ إرادته، وللتعبير عن قصده. الأمر الذي يوصله إلى هدفه، مستعملاً العلامات اللغويّة وغير اللغويّة، مراعيًا بذلك السياق. وقد أطلق بعض النقاد قديمًا، على هذه الظاهرة، مصطلح "الاحتيال"، واعتبروه سلاحًا للمتكلم يواجه به المرسَل إليه، للوصول بسياسته إلى مبتغاه[3].

المطلب الثالث: مفهوم الاستراتيجيّة التوجيهيّة في الخطاب.

يلجأ المرسِل في تخاطبه مع المرسَل إليه إلى مجموعة من الطرق والوسائل المختلفة لتحقيق هدفه والوصول إلى مبتغاه، وهذه الطرق تسمى بـ (الاستراتيجيّات). وتختلف هذه الاستراتيجيّات باختلاف قصد المتكلم. فإن كان قصده من الخطاب إقامة علاقة بينه وبين المرسَل إليه، فإنه يستخدم طريقة معينّة، وهذه الطريقة تسمى بالاستراتيجيّة التضامنيّة. ويتميز الخطاب في هذه الاستراتيجيّة بنوع من التأدب والمرونة، مستخدمًا مجموعة من الأدوات والأساليب اللغويّة.

---

(1) انظر: الشهري، مرجع سابق، ص60.

(2) نفسه، ص61.

(3) نفسه، ص62.

أما إذا كان قصد المتكلم الوصول إلى مبتغاه بطريقة غير مباشرة، متعدّية المعنى الحرفي للخطاب، فإنه يستخدم طريقة، تسمى بالاستراتيجيّة التلميحيّة، ويتميّز الخطاب في هذه الاستراتيجيّة بنوع من التأدب أيضًا، والهرب من المسؤولية التي تتبع الخطاب، والاكتفاء بخطاب واحد يُفسر بأكثر من طريقة.

أما إذا كان قصد المتكلم الوصول إلى مبتغاه بطريقة مقنعة للمرسَل إليه، فإنه يستخدم طريقة تسمى باستراتيجيّة الإقناع أو الإقناعيّة. ويتميّز الخطاب في هذه الاستراتيجيّة بتأثيره القوي على المرسَل إليه، وعدم إكراهه بواسطة السُلطة مثلاً، ويتميز أيضًا بإمكانيّة استخدامه من الجميع.

وأخيرًا، إذا كان قصد المتكلم الإصرار على تبليغ مقصده من وراء خطابه، وتوجيه النّصح والإرشاد إلى المرسَل إليه، دون النظر إلى العلاقة بينه وبين المرسل إليه، باستخدام طريقة مباشرة في خطابه، وبفرض سُلطته، فإنه يستخدم طريقة، تسمى بالاستراتيجيّة التوجيهيّة. ويتميز الخطاب في هذه الاستراتيجيّة بتقديم التّوجيه على التأدب في خطابات النّصح والتحذير والإرشاد، وغيرها. فالمرسِل يولي عنايته فيها لتبليغ قصده وتحقيق هدفه الخطابي، بإغفال جانب التأدب التعاملي الجزئي في الخطاب. كما أنه قد يفرض سُلطته واضعًا مجموعة من القيود على المرسَل إليه، للامتثال لأوامره ونواهيه[1].

ومما سبق، يتبيّن أن الخطاب في الاستراتيجيّة التوجيهيّة، يُعدُّ ضغطًا وتدخلاً، ولو بدرجات متفاوتة على المرسَل إليه. وسبب ذلك، أن المرسِل تجاوز تهذيب الخطاب؛ لتبليغ قصده أولاً. وهذا عكس ما تدعو إليه النّظريات التي تناولت مبدأ التأدب[2].

---

[1] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص322.

[2] نفسه، ص323.

وعند النظر إلى المرسَل إليه في الاستراتيجيّة التوجيهيّة، يمكن تصنيفه في صنفين: الأول، المتخيّل، وما له من صورة نمطيّة في السياق. والثاني: الحاضر لحظة التّلفظ بالخطاب، والمعروف لدى المرسِل مسبقًا.

وعليه، فقد تختلف الأدوات والآليات المستخدمة في كل منهما. فمن الأمثلة على الصنف الأول- المتخيّل-: التعليمات العامة، كاستخدام المكتبة مثلاً، فالمرسِل عندما يستخدم هذه الاستراتيجيّة، وبهذه الطّريقة، يعلم أن من يرتاد المكتبة مثلاً، طالب يحترم الأنظمة والتّوجيهات، وأنه عاقل بالدرجة التي يتمكن بها من فَهْم القصد من الخطاب، بل ويلتزم بمضمونه. ونلاحظ هنا، أن المرسِل ومن خلال معرفته السابقة بالمرسَل إليه استطاع إنتاج خطابه وتوجيهه مسبقًا. بل تجاوز ذلك، وأعطى خطابه صفه الديمومة ومناسبته لكل وقت، وإعادة توجيه المرسَل إليه بمجرد إعادة قراءة هذا الخطاب المكتوب[1].

أما الصنف الثاني، الحاضر لحظة التلفظ بالخطاب، فإن الخطاب التوجيهي قد يقتصر عليه دون غيره؛ لأن السياق الذي يدور فيه الخطاب أضيق من السابق. وذلك لعدة عوامل، منها: سمات الفرد الشخصية، والمعرفة المشتركة بين الطرفين، وهذا ما يجعل التوجيه مقتصرًا عليه[2].

ولا يقتصر التوجيه على كونه فعلاً لغويًا فقط، بل يُعدُّ التوجيه وظيفة من وظائف اللغة، حسب تصنيف مجموعة من الدارسين، ومنهم: "جاكبسون"، الذي يسمي وظيفة التوجيه في اللغة بالوظيفة الإيعازية أو الندائيّة. ولكي يؤدي التوجيه وظيفته في اللغة، لا بُدَّ من وجود بعض العناصر التي تعطي التوجيه قوته الإنجازية، ومنها: سُلطة المرسِل. والمنفعة الإنجازية العائدة على أحد الطرفين، أو كليهما[3].

---

[1] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص323.

[2] نفسه، ص324.

[3] نفسه، الصفحة نفسها.

ولكي يتم إنجاز الفعل التوجيهي، لا بدّ أن يمتلك المرسِل السُلطة، وهذه السُلطة متفاوتة بين الطرفين؛ من التقارب الملموس إلى التباين الشديد، وتشكل عاملاً مهمًا في إنتاج التوجيه. فلو كان طرفا الخطاب على درجة واحدة من السُلطة، لاستعاض المرسِل بطريقة أخرى؛ لأنه يعلم أنه لا فائدة من الخطاب هنا، بل ربما تجاوز الخطاب التوجيه وأصبح مثارًا للسخرية، كما أنه قد يؤدي به الأمر هنا إلى حد العقوبة. وعليه، فإن امتلاك السُلطة شرط أساس عند ممارسة الفعل التوجيهي، حتى ولو كانت السُلطة مختبئة وراء المرسِل، كالسُلطة الدينية، التي تسمح لمن يستخدم الاستراتيجيّة التوجيهيّة، بتوجيه الناس ونصحهم بما توجبه الشريعة، وبما تحرمه[1].

وبجانب السُلطة، تأتي المنفعة العائدة ودورها في إنجاز الفعل التوجيهي، فالمرسِل يتقبل التوجيه بسبب حاجته هو. وعندها لا يجد إلا الامتثال، متنازلاً عن سُلطته؛ لأن عدم امتثاله يحرمه من تحقيق ما يسعى إليه، ويمكن التّمثيل على ذلك، بحاجة عابر السبيل إلى معرفة الطريق عندما يسأل شخصًا لا يعرفه، فيجيبه دون الالتفات لمبدأ التأدب؛ لعدم وجود علاقة بينهما. كما أن الحرية متروكة للمجيب ليصوغ خطابه مستعملاً مجموعة من الأوامر. وهنا لا يمتلك إلا طاعته دون تردد. وعليه، يكون حكم أفعال التوجيه إما الوجوب وإما الندب والاستحباب؛ فإذا كانت المنفعة عائدة على المرسل، فالأفعال واجبة الطاعة، أما إذا كانت المنفعة عائدة على المرسل إليه، فحكمها الندب[2].

ولعل أبرز ما يُميّز الاستراتيجيّة التوجيهيّة، أنها تتّسم بالوضوح في التعبير عن قصد المرسِل وتحقيق هدفه، بحيث لا يكون أمام المرسَل إليه إلا الامتثال[3].

---

[1] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص325.

[2] نفسه، ص326.

[3] نفسه، ص327.

ومن الملاحظ، أن أفعال التوجيه لا تتحقق إلا بإنجاز الأفعال اللغوية الصريحة، وصراحتها تنتظم في مستويين، كما جاء عند "أوستن"[1]:

– المستوى الأول: استعمال الأدوات المعروفة بنيابتها عن الفعل المعجمي، مثل، أنا آمرك أن تفعل كذا. وفي هذا المستوى نلاحظ مراعاة العلاقة العاطفيّة بين المتخاطبين.

– المستوى الثاني: استعمال الفعل معجميًا، أو اسم الفعل ذاته، مثل: افعل كذا.

وفي هذا المستوى نلاحظ تدني مستوى العلاقة بين الطرفين، وهذا بعكس ما جاء في المستوى الأول. إلا أنه يمكن للمرسل أن يمزج بين المستويين، ويخفف من حدّة أحدهما بالآخر، مثل: أنا أنهاك عن الكذب، فكن صادقًا.

ففي هذا المثال، لم يبدأ بالتوجيه بفعل الأمر الصريح، وإنما بدأ بتوضيح شخصيته المقتضية امتلاكه للسُلطة– بغض النظر عن نوعها– بقوله: "أنا"، ثم نهيه عن الكذب المقتضي ضرورة أن يكون صادقًا.

المطلب الرابع: الاستراتيجيّة التوجيهيّة في الدراسات السابقة.

أولاً: عند العرب

عند البحث عن ملامح الاستراتيجيّة التوجيهيّة في التراث اللغوي لدى العرب القدماء، نجد ذلك، في ثنايا أبحاثهم النحوية والبلاغية ودراسات الأصوليين، ولعل أكثر مَنْ تناول هذه الاستراتيجيّة، علماءُ الأصول، وذلك عند تحليلهم للخطاب، وما انبنى عليه من أحكام.

فالنحاة مثلاً، نظروا إلى الاستراتيجيّة التوجيهيّة عند تصنيف الأفعال، إذ جعل بعض النحاة الكلام على ثلاثة أقسام أحدها هو الطلب. وانطلقوا في ذلك من معيار اقتران المعنى باللفظ، فإذا لم يقترن المعنى باللفظ ، بل تأخر عنه، سُمي طلبًا، وهذا مكمن أفعال التوجيه، عندما يطلب من

---

[1] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص327.

المرسَل إليه فعل شيء بعد لحظة التلفظ، وإن كان إنجاز الطلب نفسه من أمر أو نهي أو غيرهما يقترن بتلفظ المرسِل[1].

أما البلاغيّون، فقد تناولوا هذه الاستراتيجيّة، واهتموا بها في علم المعاني. فالسكّاكيّ مثلاً، قسّم علم المعاني إلى قسمين، وسمّى كل قسم بالقانون. قانون الخبر، وقانون الطلب. وقسّم أيضًا، الطلب إلى قسمين: نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول، كالتمنّي. ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول، كالأمر والنهي والاستفهام[2].

كما صاغ الماوردي شروط الكلام، ليتلفظ المرسل بخطابه التوجيهي، وفق هذه الشروط. قال: " وأعلم أن للكلام شروطًا لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بها، ولا يعرى من النقص إلا بعد أن يستوفيها..." [3] حيث ذكر بعض الشروط، مثل: عدم الإطناب، وعدم الغموض، أو الإيجاز المخل، أو البعد عن القصد المراد، ونحو ذلك.

وأما علماء أصول الفقه، فقد اهتموا بتحليل الخطاب، ووضعوا شروطًا معيّنة لبعض أدوات هذه الاستراتيجيّة. فالغزالي مثلاً، وضع حدًا للأمر والنهي، حيث قال: "الأمر هو القول المقتضي طاعة المأمور بفعل المأمور به. والنهي، هو: القول المقتضي ترك الفعل"[4]. وليس من الغريب اهتمامهم بذلك؛ لأن الاستراتيجيّة جزء من الخطاب، الذي استقامت عليه جلّ أعمالهم وأحكامهم.

وحديثًا، يرى محمود نحلة: أن أفعال الاستراتيجيّة التوجيهيّة المنسوبة إلى نظريّة الأفعال الكلاميّة عند أوستن، التي عدّها أوستن من ضمن الأفعال الإنجازيّة في قسم الطلبات، و تضم كلّ

---

[1] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص 330.

[2] السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص303.

[3] الماوردي: علي، أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص237.

[4] الغزالي، محمد. المستصفى، مرجع سابق، ج: 2، ص 110.

فعل دالّ على الطلب، بصرف النظر عن صيغته، قد تنبّه إليها الأصوليّون والفقهاء في وقت مبكر[1].

ثانيا: عند الغربيين

يتّجه العلماء الغربيون، عند معالجتهم الخطاب، في الدراسات المعاصرة، اتّجاهين اثنين: اتّجاهًا يهتمّ بالدراسات التي تؤكّد مبدأ التأدّب، واتّجاهًا يهتمّ بكيفيّة إنتاج الخطاب وفقًا للاستراتيجيّة التوجيهيّة[2].

فالاتجاه الأول، ويمثّله "ليتش"، يجعل التأدّب من الأولويّات التي يجب توفرها عند التلفظ بالخطاب، ويفترض في المرسل أن يراعي العلاقة الودية بينه وبين المرسَل إليه، أو يؤسّسها إن لم تكن موجودة وقد صاغ هذا المبدأ في قاعدتين، هما:

أ. قاعدة اللباقة، وتأتي في صورتين:

1. قلل تكلفة الغير.

2. أكثر ربح الغير.

ب. قاعدة السخاء، وتأتي في صورتين:

1. قلل ربح الذات.

2. أكثر خسارة الذات.

غير أن المرسِل، وعند استخدامه الاستراتيجيّة التوجيهيّة، قد لا يتقيد بهذا المبدأ؛ لمجموعة من الأسباب، منها: دافع السُلطة وعدم الرغبة بالتنازل عنها، أو أن المصلحة تقتضي استعمال التوجيه دون غيره.

---

[1] نحلة، مرجع سابق، ص100.

[2] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص331.

ولهذا، فقد صنف "ليتش" أفعال الاستراتيجيّة التوجيهيّة ضمن الأفعال التي تنتمي إلى صنف التأدّب السلبي، كأفعال الأمر، وبالرغم من أن بعض هذه الأفعال فيها قيمة وحضور أدبي، كالدعوة مثلاً، إلا أنّه يعتبرها ضغطًا على المرسَل إليه، إذ سمّى مثل هذه الأفعال بأفعال الإكراه[1].

ومن خلال قاعدتي "ليتش"، فإن أصحاب هذا الاتجاه يطلبون من المرسِل أن يتّجه بخطابه إلى التكثير من فائدة المرسل إليه، وجعل خطابه أكثر تأدبًا. ولن يكون ذلك إلا على حساب خسارة المرسِل نفسه. ومع ذلك، فإن المرسِل قد يعتمد خرق هذا المبدأ، أو أنّه قد يضطر إلى ذلك، وذلك عندما يستخدم الفعل التوجيهي، خصوصًا عندما يستخدم الأمر والنهي الصريحين[2].

إلا أنه من الممكن التدرج في الخطاب التوجيهي، مع تقديم بعض التنازلات من طرف المرسل لحساب المرسل إليه، كما في المثال التالي:

- اسكت.
- هل لك أنت تسكت.
- لا أحب الإزعاج.
- كثرة الكلام متعبة للشخص[3].

نلاحظ في المثال السابق، أن الأمثلة كلها تؤدي إلى هدف واحد وهو السكوت، وإن تفاوتت في حدّتها من الأمر المباشر إلى التلميح شيئًا فشيئًا.

وبجانب "ليتش"، حاولت "روبين لاكوف"، صياغة بعض قواعد التّأدب، إذ دعت إلى مبادئ اللغة الكلية، وذلك من خلال إدراج القواعد التداوليّة، للحكم على جودة الخطاب من عدمه. ووضعت قاعدتين، تسميهما قاعدتي الكفاءة التداولية، هما:

---

[1] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص332.

[2] نفسه، الصفحة نفسها.

[3] نفسه، ص334.

2. كن واضحًا.

3. كن مؤدبًا[1].

وبالنظر إلى هاتين القاعدتين، نجد أن القاعدة الأولى، ركّزت على تجنب الغموض واللبس في إنتاج الخطاب. أما القاعدة الثانية، فركزت على مبدأ التأدّب في الخطاب[2]. وقد فرّعت من القاعدة الثانية – التأدّب – عددًا من القواعد، سمّتها قواعد تهذيب الخطاب. وهذه القواعد، هي[3]:

- قاعدة التعفف، وتعني: عدم فرض نفسك على المرسل إليه، إما بالإلحاح أو الإكراه. وعدم التطفل على شؤون الآخرين. ونلاحظ هنا، أن هذه القاعدة لا تتحقق إلا بالابتعاد عن الطلب المباشر.
- قاعدة التخيير، وتعني: ترك الحرية للمرسل إليه، بحيث يتخذ قراراته بنفسه. وترك مجموعة من الخيارات المتاحة أمامه. ونلاحظ هنا، أنه قد يُعدُّ التخيير توجيهًا، ولكن بصورة أقل، وذلك، عندما يوضع خيارات محدّدة يجب الاختيار منها.
- قاعدة التودد، وتعني: إظهار الود للمرسل إليه، وتقريبه. ونلاحظ هنا، أنه يجب أن يكون المرسِل فيها أعلى أو مساويًا للمرسَل إليه.

ومما سبق، يتبين أنه بخرق، أو تجاهل القواعد التي وضعتها "لاكوف"، عند إنتاج الخطاب، يُعدّ ذلك، مؤشرًا لاستعمال الاستراتيجيّة التوجيهيّة.

وهذا كلّه ممّا يتعلّق بالاتجاه الأول الذي يدعو إلى مبدأ التأدّب في الخطاب، أما الاتجاه الثاني، وهو الذي يهتمّ بالدراسات التوجيهيّة بعيدًا عن مبدأ التأدب، فيمثّله مجموعة من الدارسين،

---

[1] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص334.

[2] انظر: قسيمة، مرجع سابق، ص87.

[3] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص335.

مثل: "جرايس" وحديثه عن مبدأ التعاون، إذ يفترض "جرايس" تعاون المرسَل إليه لفهم القصد من الفعل التوجيهي، كما أن المرسِل همّه التبليغ أولاً، ثم تأتي مرحلة تهذيب الخطاب في مرحلة تالية.

وبجانب "جرايس"، اشتهرت دراسة "سيرل" عن الأفعال اللغوية، وتصنيفه لها، وقد قسّمها إلى خمسة أقسام، ومن ضمنها: الأفعال التوجيهية. إذ هي كل المحاولات الخطابية التي يضغط ويؤثر بها المرسِل على المرسَل إليه بدرجات متفاوته، لتبليغ قصده، وتبدأ من البسيطة كالاقتراح إلى أن تصل إلى أفعال الإكراه[1].

ومن هذه الدراسات، الأعمال التي قام بها: "براون و لفنسون"، حيث جعلا أفعال التوجيه، من ضمن الأفعال التي تهدد الوجه. واقترحا تسمية هذه الأفعال بالأفعال الصريحة. إذ إنها خالية من جوانب التأدب[2].

ومنها أيضًا، الدراسات التي قام بها "باخ"، وتصنيفه للأفعال التوجيهيّة، إذ عدّها صنفًا من الأصناف التواصليّة الإنجازيّة، بجانب الأفعال التقريريّة، والأفعال الالتزاميّة، وأفعال التعبير عن المشاعر[3].

كما صنّف أفعال التوجيه إلى عدّة أصناف، منها[4]:

1. الطلبات، ولها أشكال لغوية متعددة، كالتوسل، والمناشدة والدعوة، وغيرها.
2. الأسئلة، ولها أشكال لغوية متعددة، كالسؤال، والاستجواب، والتشكيك، وغيرها.
3. المتطلبات، ومن أشكالها: العرض، والتكليف، والأمر، والإرشاد، وغيرها.
4. التحريمات، ومن أشكالها: المنع، والحظر، والتحريم، والتقييد، وغيرها.
5. أفعال النصح، ومن أشكالها: النصح، والتحذير، والاقتراح، والتوصية، وغيرها.

---

[1] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص336.

[2] نفسه، ص337.

[3] نفسه، الصفحة نفسها.

[4] نفسه، ص338.

هذه، أبرز الدراسات التي تناولت الاستراتيجيّة والتوجيهيّة في الدراسات الغربيّة وقد انقسمت إلى قسمين- كما أسلفت: قسم اهتمّ بالدراسات التي تؤكد مبدأ التأدب. وآخر، اهتمّ بالدراسات التي اهتمّت بكيفيّة إنتاج الخطاب وفقًا للتوجيه.

المطلب الخامس: مُسَوِّغات استعمال الاستراتيجيّة التوجيهيّة

هناك عدد من العوامل أو المُسوِّغات يتم الأخذ بها عند استعمال الاستراتيجيّة التوجيهيّة في إنتاج الخطاب، دون غيرها من الاستراتيجيّات. لعل أهمّها[1]:

- عدم التشابه في بعض السمات، كالسمة المعرفيّة مثلاً، بين الطالب والأستاذ؛ فالطالب محتاج إلى التوجيه أكثر من ملاطفته في الخطاب.
- عدم وجود تكرار بين الطرفين في الاتصال. فالموقف هنا يستدعي التوجيه مباشرة.
- تفاوت التفكير بين الطرفين. فالتوجيه يكفل عدم التأويل الخاطئ للخطاب، عندما تستخدم طريقة أخرى، كالتضامنيّة مثلاً.
- عدم الاهتمام بتبعات استعمال هذه الاستراتيجيّة، من آثار عاطفية سلبيّة على المرسَل إليه.
- تصحيح العلاقة بين الطرفين المتفاوتين في الرّتبة.
- رغبة المرسل في الاستعلاء، أو الارتفاع بمنزلته الذاتيّة، فالموقف عندئذٍ يسمح له بذلك؛ كأمر المظلوم القاضيَ بإنصافه.
- إصرار المرسِل على تنفيذ قصده، أو تأكيده بصورة احترازيّة للفهم الخاطئ.
- تهاون المرسَل إليه في ما يطلب منه، أو تجاوز حدوده في النقاش.

---

[1] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص328.

- مناسبة السياق التفاعلي لاستعمال التوجيه بين الطرفين، كالطبيب والخطيب والمحذِّر، فإنهم عند إنتاج خطابهم لا يلتفتون إلى رتبة المرسَل إليه.

هذه أهم العوامل أو المُسوِّغات التي تدعو المرسل إلى استعمال التوجيه، دون غيره من الاستراتيجيّات، وإن كانت هذه العوامل تتداخل، بعضها مع بعض.

المطلب السادس: الأساليب اللغويّة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة

تتحقق الاستراتيجيّة التوجيهيّة باستعمال مجموعة من الأساليب اللغويّة، ومن أهمها[1]:

1. الأمر.
2. النهي.
3. الاستفهام.
4. النداء.
5. التحضيض.
6. الإغراء.
7. التحذير.
8. ذكر العاقبة.

هذه أهم الأساليب اللغوية المستخدمة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة، وسوف أتحدّث عن الأساليب اللغوية الواردة في سورة طه، في الفصل الثاني من الدّراسة.

---

[1] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص340.

الفصل الثاني:

الأساليب اللغويّة في الاستراتيجية التوجيهية في سورة طه

المبحث الأول: الاستراتيجيّة التوجيهيّة في الأمر

أسلوب الأمر في سورة طه

المسألة الأولى: الأمر بالصيغة القياسية "افعلْ" الصّريحة

المسألة الثانية: الأمر بصيغة "افعل" المقدرة

المسألة الثالثة: الأمر بلام الأمر الداخلة على الفعل المضارع

المسألة الرابعة: الأمر بالمصدر النائب عن الفعل

المبحث الثاني: الاستراتيجيّة التوجيهيّة في النهي

أسلوب النهى في سورة طه

أولاً: النهي بالصيغة القياسيّة "لا تفعل"

ثانيًا: النهي بالصيغة القياسية" لا تفعل" المؤكّدة بالنون الثقيلة

المبحث الثالث: الاستراتيجيّة التوجيهيّة في الاستفهام

المطلب الأول: مفهوم الاستفهام

المطلب الثاني: أدوات الاستفهام

المطلب الثالث: مواضع الاستفهام في سورة طه

المسألة الأولى: الاستفهام بالهمزة

المسألة الثانية: الاستفهام بـ"هل"

المسألة الثالثة: الاستفهام بالاسم: "ما"

المسألة الرابعة: الاستفهام بالاسم "مَنْ"

المبحث الرابع: الاستراتيجيّة التوجيهيّة في النداء

المسألة الأولى: النداء باستخدام أداة النداء "يا"

المسألة الثانية: النداء من غير أداة

المبحث الخامس: الاستراتيجيّة التوجيهيّة في التحضيض

المبحث السادس: الاستراتيجيّة التوجيهيّة بذكر العاقبة

الفصل الثاني:

الأساليب اللغويّة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة في سورة طه

يتناول هذا الفصل الأساليب اللغوية المستخدمة في الاستراتيجية التوجيهية، الواردة في سورة طه. وقبل ذلك، أرى من المناسب أن أثبت نصّ السورة الكريمة بالرسم العثماني، موافقةً لقراءة حفص عن عاصم:

السورة الكريمة:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ
عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ
وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ
ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ
بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾
إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾
وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ
أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ
جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى
صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ

أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾
وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ
عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ
إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ
يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا
لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾
فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾
إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ
هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ
أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ
مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ
﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا
صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ
يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا
صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ

عَادَنَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ
أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٧٢﴾
إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا
يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ
جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾
فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ
وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ
وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ
يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾
فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ
عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا
فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۖ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ
إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى
وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾
قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا
وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ
وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ

وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾
يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ
ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا
عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ
يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾
وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ
أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ
لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾
فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ
عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ
وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ
وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ
ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ

خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ الصِّرَٰطِ السَّوِىِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

بين يدي السورة:

سورة طه، سورة مكيّة، وآياتها خمس وثلاثون ومئة آية. وهي تبحثُ عن الأهداف نفسها للسور المكيّة، وغرضها الأساسي: التركيز على أصول الدين من التوحيد، والنبوة، والبعث والنشور[1].

وتبدأ هذه السورة وتختتم بخطاب الرسول- صلى الله وعليه وسلم- ببيان وظيفته وحدود تكاليفه، وفي شدّ أزره وتقوية روحه، حتى لا يتأثر بما يُلقى إليه من السفاهة والعناد والتكذيب، ولإرشاده وتذكيره بوظيفته الأساسية الإبلاغية، وعدم إجباره الناس على الإيمان[2].

وبين المطلع والختام تعرض قصة موسى- عليه السلام – من حلقة الرسالة إلى حلقة اتّخاذ بني إسرائيل للعجل بعد خروجهم من مصر، مفصلة مطولة، ولا سيما موقف المناجاة بين الله ونبيه موسى- عليه السلام- وموقف الجدل بين موسى وفرعون، وموقف المبارزة بين موسى والسحرة، وتتجلى في هذه القصة رعاية الله لموسى وحفظه منذ الولادة إلى أهلاك أعداء الله. وفي ثنايا السورة تبرز بعض مشاهد يوم القيامة، في عبارات يرجف لها الكون، وتهتز لها القلوب هلعًا وجزعًا، كما عرضت يوم الحشر الأكبر، حيث فيه يتم الحساب العادل، ويعود الطائعون إلى الجنة،

---

[1] انظر: الصابوني، محمد. صفوة التفاسير، ص700.

[2] انظر: قطب، سيد. في ظلال القرآن، ج: 16، ص 2326.

ويذهب العصاة إلى النار. وتعرض السورة قصة آدم سريعة قصيرة، تبرز فيها رحمة الله لآدم بعد خطيئته وهدايته له، وترك البشر من أبنائه لما يختارون من هدى أو ضلال، بعد التذكير والإنذار، ثم تُختتم هذه السورة ببعض التوجيهات الربانية للرسول– صلى الله عليه وسلم– في الصبر وتحمل الأذى في سبيل الله حتى يأتي نصر الله[1].

وفي الصفحات القادمة، تفصيل وبيان للاستراتيجيّة التوجيهيّة في سورة (طه) ضمن ستّة أساليب لغوية تجلّت في السورة الكريمة، وهي: الأمر، النهي، الاستفهام، النداء، التحضيض، ذكر العاقبة.

[1] انظر: قطب، مرجع سابق، ج: 16، ص 2326.

المبحث الأوّل: الاستراتيجيّة التوجيهيّة في الأمر.

الأمر في عُرف النحاة والبلاغيين: طلب لإيقاع الفعل وإيجاده، وهو بعكس النهي. ويكون في الأصل على وجه الاستعلاء، لكنه قد يخرج إلى معانٍ أخرى كالدعاء والالتماس، وغيرهما، فلا يكون فيه حينئذ معنى الاستعلاء. وقد تفاوتت تعريفات الأمر في ضوء النظر إليه من عدّة جوانب، كدلالة بعض أدواته، أو اعتبار القرينة كرتبة المرسل، وغيرها. ولعل السبب في هذا الاختلاف والتفاوت، هو تعدّد الخلفيات الثقافية لكل منهم[1].

فالأمر عند السكّاكيّ مثلاً، عبارة عن فعل كلامي إنجازي، يتضمن طلبًا للحصول في الخارج[2]. يقول: "والأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها أعني استعمال نحو: لينزلْ، وانزلْ، ونزالِ، وصَهْ، على سبيل الاستعلاء"[3].

وعليه، فإن الأمر عند السكّاكيّ له، في الأصل، صيغة واحدة، وهي اللام الجازمة التي يتحقق بها الفعل الإنجازي، بالإضافة إلى تحقّقه بصيغة فعل الأمر المباشرة، حيث يحتوي في طياته قوة إنجازية مباشرة للأمر، وبالإضافة إلى صيغ الأمر الاسميّة، كأسماء الأفعال. ونلاحظ أيضًا، أن السكّاكيّ لديه تصور تداولي حول هذا الموضوع؛ فهو يشير إلى مراعاة حال المتكلم ومنزلته، واشتراطه الاستعلاء، يقول: "ولا شبهة في أن طلب المتصور على سبيل الاستعلاء، يورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه، ثم إذا كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة، وإلا لم يستتبعه، فإذا صادفتْ هذه أصل الاستعمال

---

[1] بعض العلماء المتقدمين جعلوا الأمر قسمًا من أقسام الكلام. كما صنفه كثير من المحدثين على أنه جزء من الأفعال التوجيهية، ومنهم: "سيرل وباخ وبراون وليفنسون". انظر: الشهري، مرجع سابق، ص 340.

[2] انظر: لهويمل، بادوس، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكّاكي. عالم الكتب الحديث، إربد، 2014، ص151.

[3] السكّاكي، مرجع سابق، ص318.

بالشرط المذكور أفادت الوجوب، وإلا لم تُفد غير الطلب، ثم إنها حينئذٍ تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقال..." [1].

ويعرف العلويّ الأمر تعريفًا أوسع وأكثر عموميّة ممّا ذكره السكاكي قليلاً، فكان أكثر عمومية، وذلك لعدم حصرِهِ الأمر في أدوات محددة، ثم يعلّل لرأيه؛ يقول: "هو صيغة تستدعي الفعل، أو قول يُنبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء، فقولنا صيغة تستدعي، أو قول ينبئ، ولم نقل افعل ولتفعل، كما يقوله المتكلمون الأصوليون؛ لتدخل جميع الأقوال الدالة على استدعاء الفعل في الفارسية والتركية والرومية، فإنها كلها دالة على الاستدعاء، من غير صيغة افعل ولتفعل. ونحو قولنا: نزال، وصه، فإنهما دالان على الاستدعاء. من غير صيغة افعل، وقولنا: من جهة الغير، نحترز به عن أمر الإنسان نفسه، فإن ذلك إنما يكون على جهة المجاز، وقولنا: على جهة الاستعلاء، تحترز به عن الرتبة، فإنها غير معتبرة في ماهية الأمر، بدليل أن العبد يجوز أن يأمر سيّده، بما هو على جهة الاستعلاء، ولا يصفونه بالحماقة، ولو كانت الرتبة معتبرة، لم يعقل ذلك في حق العبد؛ لبطلانها فيه، فهذه هي الماهية الصالحة لأمر في نحو قولك: (افعل) للمخاطب، و(ليفعل) للغائب، إلى غير ذلك من الصيغ المقررة ..." [2].

وعلى الرغم من أن العلماء الأوائل يكادون يجمعون على أن حدّ الأمر: استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه، وأن صيغته الأصلية "افعلْ"، إلا أنهم يختلفون في دلالة صيغته عليه، الدلالة الصرفية البحتة، إذ لا بدّ من وجود قرائن. وعند استعمال الأمر في الخطاب لا يُكتفى بالصيغة فقط، بل لا بدّ من وجود سُلطة للآخر، وإلا خرج الأمر عن معناه، وخرج عن دلالته على قصد المرسل في التوجيه إلى مقاصد أخرى، كالدعاء مثلاً. ورغم ذلك، فإن توفر السُلطة بمفهومها

---

[1] السكاكي، مرجع سابق، ص 319.

[2] العلوي، يحيى. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب الخديوية، مصر، 1914، ج: 3، ص 280.

التقليدي، لا تكفي أيضًا، لأن مفهومها واسع في الاستراتيجيّة التوجيهيّة، إذ تتضمن سُلطة العلم والمعرفة كذلك. وبهذا، فإن ما يمتلكه المرسِل من خلفيّة علميّة، يعدّ سُلطة في حد ذاتها. وبالتالي، فإنها تصنيف لرتبته في سياق معين، حتى لو كان الخطاب موجهًا لمنفعة المرسل إليه، مثل الخطابات التي تحتوي على التعليمات العامة والإرشادات ونحوها. أما حكمه، فيكون واجبًا في توفر هذين الشرطين: الصيغة اللغوية والسُلطة. وعليه، فالمسألة ليست لغوية بحته، بل لغوية تداولية[1].

وبهذا، يبدو أن التوجيه باستعمال صيغة الأمر ليس تابعًا للمواضعة اللغويّة فقط، وإنما المعوّل عليه هو اتفاقها مع سُلطة المرسِل، بشرط ألا تتعارض مع سُلطة أعلى من سُلطته، كمن يأمر بمنكر، أو ينهى عن معروف، فإن طلبه لن يتحقق. وذلك لأن سُلطة المتلقي أقوى من سُلطته، وهي سُلطة تعاليم الدين[2].

كما أن وجهة المنفعة هي من العناصر التي تمنح التوجيه حكمًا معينًا. وبناءً عليه، فقد يستعمل المرسل الاستراتيجيّة التوجيهيّة لغير الأمر، كخروج الأمر عن معناه إلى معانٍ كثيرة[3]. قال ابن فارس: "فأما المعاني التي يحتملها لفظ الأمر فأن يكون أمرًا، والمعنى مسألة. ويكون أمرًا، والمعنى وعيد. ويكون أمرًا، والمعنى تسليم. ويكون أمرًا، والمعنى تكوين. ويكون أمرًا، وهو ندب. ويكون أمرًا، وهو تعجيز. ويكون أمرًا، وهو تعجب. ويكون أمرًا، وهو تمنٍّ. ويكون أمرًا، والمعنى تلهيف وتحسر. ويكون أمرًا، والمعنى خبر"[4]. وكثيرًا ما يكسر الوجود الفعلي للتركيب في النصوص قيد المعنى الأصلي، منتجًا دلالات لا حصر لها، تتفاوت العلاقة بين طرفي الحوار، ولذا سيكون استحضار البعد التداولي الأساس المعول عليه في بيان دلالة التركيب. بيد أن ثمة

---

[1] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص 341.

[2] نفسه، ص 342.

[3] نفسه، ص 343.

[4] ابن فارس، أحمد. الصاحبي في فقه اللغة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص 140.

ملحظًا آخر لأحد مظاهر الانحراف في أسلوبيّة الأمر حَرِيّ بالتأمل يتمثّل في التجاوز الدائب للتركيب في النصوص المختلفة، فليس كل أمر خرج عن دلالته الأصليّة إلى دلالة الدعاء مثلا، سواء. وحتى حين تلتزم بنية التركيب بدلالتها الأصلية فلا بدّ من تمثّل أبعاد الموقف الحواري لاستشفاف الدلالات التي يمكن أن تمتزج مع المعنى الأصلي للبنية. فالأمر الذي يوجهه الله لأحد الرسل ليؤدي مطلوبًا ما، قد يمتزج بالشفقة والايناس كقوله تعالى لنوح – عليه السلام – في سورة هود: ﴿ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ ﴾. بينما قد يمتزج بالغضب والسخط حين يوجه الأمر ذاته إلى الشيطان، قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[1].

ويقول تمام حسان، عند حديثه عن أساليب التوجيه في النص القرآني: "الأصل في الإيجاب أن يكون بالأمر، والأصل في التحريم أن يكون بالنهي، ولا يكون الخروج عن هذا الأصل إلا بقرينة تستفاد من خارج اللفظ"[2].

– أسلوب الأمر في سورة طه

عند تحليل سورة طه، تبين أن أسلوب الأمر ورد أكثر من غيره من الأساليب اللغوية المستخدمة في الاستراتيجية التوجيهية، إذ ورد في أربعة وخمسين موضعًا، خمسون منها على الصيغة القياسية "افعل" الصريحة، وموضعان اثنان على صيغة" افعلْ" المقدّرة، وهناك موضع جاء على صيغة المضارع المقترن باللام، وآخر جاء على صيغة المصدر النائب عن فعل الأمر. أما باقي الأدوات المستخدمة للأمر، فلم ترد في السورة الكريمة. وبيان ذلك في المسائل الآتية:

---

[1] نزال، فوز. لغة الحوار في القرآن الكريم، دار الجوهرة، عمّان، 2001، ص 179.

[2] حسان، تمام. البيان في روائع القرآن، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 2000، ج:2، ص 181.

المسألة الأولى: الأمر بالصيغة القياسية "افعلْ" الصّريحة

ورد الأمر بهذه الصيغة في واحد وخمسين موضعًا في السورة الكريمة؛ تسع وأربعون منها بصيغة (افعلْ) الصريحة، وموضعان بصيغة (افعلْ) المقدرة، وبيان ذلك فيما يأتي:

الموضع الأول، وهو قوله: (امكثوا)، في الآية العاشرة، قال تعالى: ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾، وهذا فعل جاء على حقيقته، وهو فعل إنجازيّ، تحققت له شروط نجاحه[1]. وهذا الفعل صادر من موسى – عليه السلام – مخاطبًا أهله. واختلف المفسرون بالمراد بالأهل. يقول الرازي: "فيجوز أن يكون الخطاب للمرأة وولدها والخادم الذي معها، ويجوز أن يكون للمرأة وحدها، ولكن خرج على ظاهر لفظ الأهل، فإن الأهل يقع على الجمع. وأيضًا، فقد يخاطب الواحد بلفظ الجماعة تفخيمًا، أي: أقيموا مكانكم"[2]، وقال الشوكاني: "وعبّر بالمكث دون الإقامة، لأن الإقامة تقتضي الدوام، والمكث ليس كذلك"[3].

الموضع الثاني، قوله: (اخلعْ)، في الآية الثانية عشرة، قال تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾، وهنا جاء فعل الأمر أيضًا على حقيقته، إذ هو صادر من الله سبحانه إلى موسى– عليه السلام– وهو فعل إنجازي، تحققت له شروط نجاحه. وقد اختلف المفسرون في

---

[1] سوف تتكرّر في التحليل عبارات ثلاث هي: "جاء على حقيقته"، " وهذا فعل إنجازيّ"، " تحققت له شروط نجاحه". ويقصد بعبارة "جاء على حقيقته": أنّ الأسلوب التوجيهيّ ؛ أمرًا كان أو نهيًا، جاء على حقيقته، ولم يخرج إلى معنى بلاغيّ. ويقصد بالفعل الإنجازيّ: أنه حقق قصد المتكلم. ويقصد بعبارة "تحقّقت له شروط نجاحه": أن يكون بصيغة لغويّة محدّدة، ويمتلك فيه المتكلم صفة الاستعلاء، وأن يكون لدى المتكلم سُلطة مخوّلة.

[2] الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط1، دار الفكر، 1981، ج: 22، ص15.

[3] الشوكاني، محمد. فتح القدير، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، 2010، م: 3، ص 358.

سبب طلب الله الخَلْع من موسى، قيل: أن حذاءه -عليه السلام- كان من جلد حمار[1]، وقيل: إن فيهما نجاسة، وقيل: لينال بركة الواد المقدّس، وقيل: أُمِر بخلعهما؛ للخشوع والتواضع عند مناجاة الله تعالى"[2]، وقد بيّنت الآية علّة ذلك الطلب، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[3].

الموضع الثالث، قوله: (استمع)، في الآية الثالثة عشرة، قال تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾، وهذا فعل جاء على حقيقته، إذ هو صادر من الله سبحانه مخاطبًا موسى- عليه السلام- وهو فعل توجيهيّ إنجازيّ، تحققت له شروط نجاحه. يقول الرازي: "قوله:﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾، فيه نهاية الهيبة والجلالة، فكأنه قال: لقد جاءك أمر عظيم هائل فتأهب له واجعل كل عقلك وخاطرك مصروفًا إليه. وقوله: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ ﴾، يفيد نهاية اللطف والرحمة. وقوله:

﴿فَٱسْتَمِعْ ﴾، يفيد نهاية الهيبة فيحصل له من الأول نهاية الرجاء، ومن الثاني نهاية الخوف"[4]. وقال الشوكاني: "والفاء في قوله: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾، لترتيب ما بعدها على ما قبلها. وما موصولة، أي: استمع للذي يوحي إليك"[5].

الموضع الرابع، قوله: (فاعبدني)، والموضع الخامس، قوله: (أقم)، وكلاهما في الآية الرابعة عشرة، قال تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾، وهنا جاء فعلا

---

[1] انظر: ابن عاشور، محمد. التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج: 16، ص 197. وهذه الرواية، رواها الترمذي عن ابن مسعود عن النبي -صلى الله عليه وسلم، وقد أنكر ذلك القرطبي في تفسيره. انظر القرطبي، ج: 11، ص172.

[2] انظر: القرطبي، ج: 11، ص173.

[3] انظر: الرازي، مرجع سابق، ج: 22. ص 15.

[4] الرازي، مرجع سابق، ج: 22، ص 19.

[5] الشوكاني، مرجع سابق، م: 3، ص 358.

الأمر على حقيقتهما، وهما صادران من الله سبحانه مخاطبًا موسى- عليه السلام- وقد تحقق لهما شروط إنجازهما. قال الشوكاني: "أمره سبحانه بالعبادة فقال: (فاعبدني)، والفاء هنا كالفاء التي قبلها، لأن اختصاص الإلهية به سبحانه موجب لتخصيصه بالعبادة. ثم قال:﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾، خصّ الصلاة بالذكر مع كونها داخله تحت العبادة لكونها أشرف طاعة وأفضل عبادة"[1].

الموضع السادس، قوله: (ألقها)، في الآية التاسعة عشرة، قال تعالى: ﴿قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾، وهذا أمر توجيهيّ جاء على حقيقته، وهو فعل إنجازيّ، إذ هو صادر من الله تعالى إلى موسى- عليه السلام، وقد تحققت له شروط نجاحه. قال الشوكاني: "أمره سبحانه بإلقائها؛ ليُريه ما جعل له فيها من المعجزة الظاهرة، فألقاها موسى على الأرض"[2]. وبجانب التوجيه بالأمر في هذه الآية، وجهه الله أيضًا بالنداء. وهذا ما يسمى التوجيه المركب[3]. أمر ونداء في الوقت نفسه.

الموضع السابع: قوله: (خذها)، في الآية الواحدة والعشرين، قال تعالى: ﴿قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ﴾، وهذا أمر جاء على حقيقته، إنجازيًا، تحققت له شروط نجاحه. وبجانب التوجيه بالأمر، هناك توجيه آخر، وهو التوجيه بالنهي، حيث قال:﴿وَلَا تَخَفۡ﴾، فالتوجيه هنا، توجيه مركب أيضًا. وقال الرازي عند تفسيره لهذه الآية، وتحديدًا بعد قوله تعالى:﴿وَلَا

---

[1] الشوكاني، مرجع سابق، م: 3، ص 358.

[2] نفسه، ص 363.

[3] وهذا النوع يكون عندما يجمع المرسل بين أكثر من أسلوب للتوجيه، فقد يكونان أسلوبين متضادين في الخطاب الواحد، مثل استعمال أسلوب الأمر، وأسلوب النهي، المضاد له شكلا، ولكنهما ليسا كذلك، إذ يعضد أحدهما الآخر. انظر: الشهري، مرجع سابق، ص 363.

تَخَفْ ﴾، أن موسى- عليه السلام- بلغ من عدم الخوف أن يدخل يده في فمها[1]. وهذا ما أفاده التوجيه المركب. والله أعلم.

الموضع الثامن، قوله: (اضمم)، في الآية الثانية والعشرين، قال تعالى: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾، وهذا أمر توجيهي، جاء على حقيقته، إنجازيًا، إذ طلب من الله لموسى- عليه السلام- بضمّ يده، أي إدخال يده إلى جناحه، ونلاحظ أنه أمر محدد، ومسوّغ. وفيه ما سماه البلاغيون: الاحتراز. وهو قوله سبحانه:﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾، وسبب الطلب، هو قوله في الآية التالية: ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾. وكلّ ذلك مقدّمات لما سيطلبه من موسى- عليه السلام- لاحقًا. نعم لقد اصطفاه الله، وناداه إلى الوادي المقدس، وسلّحه بآيتين عظيمتين، وجهّزه لمهمة صعبة، وهي إرساله إلى الطاغية فرعون.

الموضع التاسع، قوله: (اذهب) في الآية الرابعة والعشرين، قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾، وهذا أمر صريح، جاء على حقيقته، وجّه الله سبحانه وتعالى الخطاب إلى موسى- عليه السلام- آمرًا أيّاه بالذهاب إلى فرعون، وخصّه بالذكر؛ لأنه رأس الكفر، ومدّعي الألوهية. وإن كان موسى-عليه السلام- مبعوثًا إلى فرعون وقومه. ومسوّغ ذلك مصرّح به في نص الآية، وهو قوله:﴿ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾[2]. وعليه يكون هذا الأمر فعلاً توجيهيًا، إنجازيًا، تحققت له شروط نجاحه.

الموضع العاشر، قوله: (اشرح)، في الآية الخامسة والعشرين، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾، والموضع الحادي عشر، قوله: (يسّر)، في الآية السادسة والعشرين، قال تعالى: ﴿

---

[1] الرازي، مرجع سابق، ج: 22. ص 29.

[2] الأندلسي، أبو حيّان. البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ج:6 ص 223.

﴿ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴾، والموضع الثاني عشر، قوله: (احلل)، في الآية السابعة والعشرين، قال تعالى: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾، والموضع الثالث عشر، قوله: (اجعل)، في الآية التاسعة والعشرين، قال تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾، والموضع الرابع عشر، قوله (اشدد)، في الآية الواحدة الثلاثين، قال تعالى: ﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴾، والموضع الخامس عشر، قوله: (أشركه)، في الآية الثانية والثلاثين، قال تعالى: ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴾.

نلاحظ أنّ هذه الأوامر الستة: (اشرح – يسّر – احلل – اجعل – اشدد – أشرك)، وإنْ كانت بلفظ الأمر، إلا أنها خرجت عن معناها إلى معنى المسألة، أو الدعاء. وهي كلها أفعال إنجازية حققت الهدف منها، وهو دعاء موسى – عليه السلام – لربه. ونلاحظ أيضًا أنها ابتدأت بالنداء، وهو توجيه مركب بين النداء والدعاء بلفظ الأمر. ولقد كان موسى –عليه السلام– يعلم، عندما طلب الله – عزّ وجلّ – منه الذهاب إلى فرعون، أنه قد كُلّف بمهمة صعبة وشاقّة؛ فهو يعرف فرعونَ حقّ المعرفة، حيث تربّى في قصره عندما كان صغيرًا، وشهد ما يصبّه على قومه من نكال وعذاب، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1] هنا التجأ موسى إلى ربه، وناداه، ودعاه بهذه الدعوات تباعًا، وهنا يأتي الجواب من الرب الرحيم العالم بأحوالهم سريعًا، وبجملة واحدة؛ قال تعالى:﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾. وللمفسرين حول هذه الآية، وقفات جميلة، قال ابن عاشور: الفائدة من مجيء (لي) بعد فعلي الأمر "اشرح" و "يسّر" أنهما ضربٌ من الإلحاح في الدعاء لنفسه. وتحدث أيضًا عن تقديم المجرور على متعلّقه، ليحصل الإجمال، ثم التفصيل، فيفيد التأكيد أيضًا. ولم يأتِ

---

[1] سورة القصص، آية: 4.

بذلك مع الفعل (احلل)، لأن ذلك سؤال يرجع إلى تبليغ رسالة الله إلى فرعون؛ فليست فائدتها راجعة إليه حتى يأتي لها بهذه اللام[1].

أما الزمخشري، فقال: "إن الكلام أبهم أولًا فقيل: اشرح لي، ويسّر لي، فعلم أنّ ثمّ مشروحًا وميسرًا، ثم بيّن ورفع الإبهام بذكرهما، فكان آكد للطلب"[2].

الموضع السادس عشر، قوله: (اقذفيه)، والموضع السابع عشر، قوله: (فاقذفيه)، وكلاهما في الآية التاسعة والثلاثين، قال تعالى: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾، ثمة تفصيل في هذه الآية؛ فالفعل (اقذفيه) أمرٌ من الله تعالى إلى أم موسى- عليه السلام، مؤدّاه: أن يُقذف موسى- عليه السلام- في التابوت. وهذا الفعل مستعمل في حقيقته. ثمّ إن هذا الفعل الوارد بعد حرف العطف الذي يفيد الترتيب والتعقيب، جاء على حقيقته أيضًا. وهو أمر من الله سبحانه إلى أم موسى- عليه السلام- بأن تقذف التابوت وفيه موسى- عليه السلام- في اليمّ. وهذا أيضًا فعل إنجازي تحققت له شروط نجاحه. وقد اختلف المفسرون في طريقة هذا الأمر؛ كيف أمر الله أمّ موسى- عليه السلام- إذ قال بعضهم إنه ألهمها ذلك إلهامًا. وقال بعضهم إن ذلك عن طريق الوحي. وذهب آخرون إلى أنّ ذلك كان عن طريق الحلم في المنام[3]. وعن سبب اختيار لفظ " اقذفيه" قال البقاعي: "القذف مجاز عن المسارعة إلى وضعه من غير تمهل

---

[1] انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16 ص 211.

[2] الزمخشري، مرجع سابق، ج: 16، ص 654. وعن قوله: اجعل لي وزيرا من أهلي، قال العلماء: ما نفع أخ أخاه كما نفع موسى هارون، فقد طلب من ربّه أن يجعله وزيرًا، وقد استجاب الله له ذلك. انظر: الوادي، أحمد. لطائف وفوائد وتنبيهات قرآنية، 2004، ص 88. ولفوز نزال أيضًا، تعليق حول هذه الآيات، تقول: " شكل الأمر سمة أسلوبيّة في بنية عدد من النصوص الحوارية، فقد توالت أفعال الأمر خارجة عن دلالتها الأصلية إلى الدعاء، والتضرع في جل خطابات الرسل- عليهم السلام- مع الله، دالة بهذا التوالي على شمول الدعاء، وتعلق أمل الداعي بالمدعو في تنفيذ طلباته، مؤكدة قدرة المدعو على استيعاب كل هذه الطلبات وتنفيذها". انظر: نزال، فوز، مرجع سابق، ص 191.

[3] انظر: الرازي، مرجع سابق، ج: 22. ص 51.

لشيء أصلا، إشارة إلى أنه فعل مضمون السلامة كيف ما كان"[1]، ثم تلا هذين الفعلين، توجيه ثالث، بصيغة المضارع المجزوم، وسيأتي الحديث عنه لاحقًا.

الموضع الثامن عشر، قوله (اذهب)، في الآية الثانية والأربعين، قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾، وهذا فعل مستعمل على حقيقته، إذ الأمر هو الله، والمخاطب موسى- عليه السلام- ولكن هذه المرة أشركَ هارون- عليه السلام- معه؛ ليطمئنه. وقوله تعالى: ﴿بِـَٔايَـٰتِى ﴾، الباء فيه: للمصاحبة. أي بمعية آياتي[2]. وهذا؛ ليزيد من اطمئنانه، وأعقب ذلك بتوجيه موسى- عليه السلام- بأسلوب النهي أيضًا. قال:﴿ وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾، وهذا توجيه مركب، بالإضافة إلى كل ما سبق، استخدام ألف الاثنين في قوله:﴿ تَنِيَا ﴾، وهذه كلها إشارات ودلالات لموسى- عليه السلام- لكي يزداد اطمئنانه، وليعلم بأن الله استجاب له دعواته، حيث إن الخطاب كان في البداية لموسى وحده، ثم فُصل الخطاب بدعوات موسى، فجاء الجواب عن تلبية هذه الدعوات بجملة واحدة عندما قال تعالى:﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾، ثمّ ذكر الله سبحانه المنن التي أمنها عليه، فأعيد الخطاب مجددًا بالذهاب إلى فرعون وهارون معه هذه المرة[3].

الموضع التاسع عشر، قوله: (اذهبا)، في الآية الثالثة والأربعين، قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾. **والموضع العشرون**، قوله (فقولا)، في الآية الرابعة والأربعين، قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾، وهذان فعلان جاءا على حقيقتيهما، إذ هما أمر من الله تعالى إلى

---

(1) البقاعي، أبو الحسن. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1984، ج: 12، ص 286. وقد سُئل فاضل السامرائي عن سبب اختيار هذا اللفظ في هذه الآية الكريمة، فأجاب من عدّة وجوه ذكرها في برنامج: لمسات بيانية، الذي يُعرض على قناة الشارقة الفضائيّة، و قام مجموعة من المتطوعين بتفريغ هذه الحلقات وكتابتها. انظر: موقع إسلاميات عبر الرابط: http://islamiyyat.com

(2) انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 223.

(3) انظر: أبو حيان، مرجع سابق، ج:6، ص 230.

موسى- عليه السلام- وهما إنجازيان تحققت لهما شروط نجاحهما. وعبر في الآية السابقة بضمير الإفراد في" اذهب"، وجاء التعبير هنا بضمير التثنية في "اذهبا"، وذلك بإدخال ألف الاثنين، وعن سبب ذلك، قال ابن عاشور: "يجوز أن يكون انتقال إلى خطاب موسى وهارون"[1]، والباحث يرى أن الكلام كان موجهًا لموسى، وقد استخدم الله هذا الأسلوب؛ لكي يطمئن موسى- عليه السلام- باستجابة دعواته، ويؤكد إشراك أخيه معه. وفي الموضع الثاني، وهو قوله:﴿ فَقُولَا لَهُ ﴾، جاء الأمر بالفاء، ولا يخفى أثرها الرابط، وجاء بعدها الجار والمجرور مقدمًا؛ للاهتمام به وتخصيصه.

ومن المناسب أن أقف عند تكرار الفعل "اذهب"، وفيه أمر بالذهاب إلى فرعون، إذ قال في الآية الرابعة والعشرين: (اذهب)، ثم قال في الآية الثانية والأربعين: (اذهب أنت وأخوك)، ثم قال في الآية الثالثة والأربعين: (اذهبا)، وما لهذا التكرار من أثر في ربط أجزاء الخطاب، تقول فوز نزال: "وقد يتكرر الفعل حيث يقاطع المتلقي كلام المرسل، بتعليق أو تساؤل يدور حول تنفيذ الأمر، فيجيبه المرسل، ثم يرتد إلى الأمر الذي سبق وأن طرقه، فيعيد ذكره، ليكون لهذا التكرار وصلة تستأنف بها بقية الخطاب"[2].

وتقول أيضًا: "شكل تكرار فعل الأمر وصلة يرتد بها إلى الدال الأول، ويستأنف بعدها ما توقف من خطاب، فيبدو الحوار متماسكًا في بؤرة واحدة"[3].

الموضع الواحد والعشرون، قوله: (فأتياه)، والموضع الثاني والعشرون، قوله: (فقولا)، والموضع الثالث والعشرون، قوله (فأرسل)، وكلها في الآية السابعة والأربعين، قال تعالى: ﴿

---

[1] ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16 ص 224. وقال: قد تكون جملة (اذهبا) بدلا من جملة (اذهب)، فيكون قوله: (اذهبا) أمرًا لموسى بأن يذهب ويأمر أخاه بالذهاب معه، وهارون غائب، وهذا أنسب للسياق، وتكون جملة: (قالا)، مستأنفة، وقد فصل بين الكلام، أي: قالا ذلك بعد فترة من الزمن.

[2] نزال، مرجع سابق، ص 193.

[3] نفسه، ص 195.

فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾، في هذه الآية، عدّة توجيهات، أولها، قوله: (فأتياه)، وهذا فعل أمر توجيهي جاء على حقيقته، وهو أمر من الله، والمخاطب موسى- عليه السلام- وكما تغير التوجيه في الموضع السابق من مفرد إلى مثنى، أيضًا، هنا تغيّر للتأكيد بأشراك هارون معه. وثانيها، قوله: (فقولا)، وهذا أمر أيضًا جاء على حقيقته من الله تعالى مخاطبًا موسى- عليه السلام، ونلاحظ أنَّ الفعلين سبقتهما الفاء الفصيحة[1]، ولا يخفى أثرها الرابط لأجزاء الخطاب. إذ إن الخطاب انفصل مجددًا قال تعالى:﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾، وقال ابن عاشور: "ولأن غالب التفكير في العواقب يكون عند العزم على الفعل والأخذ في التهيؤ له، ولذلك أعيد أمرهما بقوله: (فأتياه)"[2]. وثالثها: قوله: (فأرسل)، وهذا أمر كذلك، جاء على حقيقته، ولكن هذه المرة، صدر من موسى- عليه السلام- مخاطبًا فرعون، أي: أطلق بني إسرائيل، وخلِّ عنهم. ونلاحظ هنا أيضًا، قوله: ﴿مَعَنَا﴾، وما لهذه من تأثير لم يكن ليحصل لو قيل: (معي). ورابعها: التوجيه بالنهي، إذ قال:﴿ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾، فجاء النهي مؤكدًا للأوامر التي قبله. وخامسها: التوجيه بذكر العاقبة، إذ قال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾، وسيأتي الحديث عن هذا النوع في موضعه. وعليه، فإن الآية اشتملت على توجيه مركّب ثلاثي: أمر ونهي وذكر للعاقبة.

الموضع الرابع والعشرون، قوله: (كلوا)، **والموضع الخامس والعشرون**، قوله: (ارعوا)، وكلاهما في الآية الرابعة والخمسين، قال تعالى: ﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾، وهنا، جاء الفعلان بلفظ الأمر، لكنهما خرجا إلى معنى الإباحة. وهما فعلان إنجازيان تحقق لهما شروط إنجازهما. إذ القائل هو الله سبحانه إلى مخاطب غير محدد، والفعلان هنا، جاءا بعدما

---

[1] الفاء الفصيحة: هي التي تدل على محذوف قبلها، وهذا المحذوف سبب لما بعدها. وسُمّيت بذلك؛ لأنها تفصح عنه.

[2] ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص227.

طلب موسى- عليه السلام- من فرعون التسليم، فانفصل الخطاب مجددًا، بجملة من الأسئلة وجهها فرعون إلى موسى، ثم راح موسى يجيب عن أسئلة فرعون، ويذكر نعم الله عليهم، فأعيد الخطاب من الله بهذه الأفعال. ولا يخفى أثر أفعال الأمر في ترابط أجزاء الخطاب.

الموضع السادس والعشرون، قوله: (اجعل)، في الآية الثامنة والخمسين، قال تعالى: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴾، وهنا جاء الفعل على حقيقته، ولكن هذه المرة القائل هو فرعون مخاطبًا موسى- عليه السلام، وقد تحقق لهذا الفعل شروط نجاحه. قال الألوسي: "وإنما فوّض اللعين أمر الوعد إلى موسى- عليه السلام- للاحتراز عن نسبته إلى ضعف القلب وضيق الحال وإظهار الجلادة، وإراءة أنه متمكن من تهيئة أسباب المعارضة، وترتيب آلات المغالبة، طال الأمد أم قصر، كما أن تقديم ضميره على ضمير موسى- عليه السلام- وتوسيط كلمة النفي بينهما، للإيذان بمسارعته إلى عدم الإخلاف، وإن عدم إخلافه لا يوجب عدم إخلافه-عليه السلام-ولذلك أكد النفي بتكرير حرفه"[1]، وهذا الفعل وإن جاء على حقيقته، إلا إنه يغلب على ظني أن فيه معنى التّحدي لموسى، وذلك بعد قوله: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾.

الموضع السابع والعشرون، قوله: (فأجمعوا)، **والموضع الثامن والعشرون**، قوله: (ائتوا)، وكلاهما في الآية الرابعة والستين، قال تعالى: ﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾، وهنا، جاء فعلا الأمر، على حقيقتيهما وحققا شروط إنجازهما، إذ صدرا من فرعون

---

[1] الألوسي، شهاب الدين. روح القرآن في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث، بيروت، ج: 16، ص217.

مخاطبًا السحرة، ونلاحظ أنّ التوجيه بفعلي الأمر، جاء مؤكدًا بالتوجيه بذكر العاقبة، قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾، وعليه، يكون التوجيه مركبًا من عنصرين: فعل الأمر، وذكر العاقبة.

الموضع التاسع والعشرون، قوله (ألقوا)، في الآية السادسة والستين، قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾، وهنا جاء الأمر على حقيقته في الوجوب، لكنه امتزج بدلالة التحدي؛ حيث إن المرسل هو موسى- عليه السلام- والمخاطب السحرة. وهو فعل إنجازي تحققت له شروط نجاحه. ومن المعلوم سلفًا، أنّ موسى- عليه السلام- قد أراه الله ما تفعل عصاه، ولإيمانه بذلك، قال لهم متحدّيًا: بل ألقوا[1]، والله سبحانه أعلم.

الموضع الثلاثون، قوله: (ألقِ)، في الآية التاسعة والستين، قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾، وهذا أمر جاء على حقيقته، إذ المرسل هو الله مخاطبًا موسى- عليه السلام- وهو فعل توجيهي، إنجازي، تحققت له شروط نجاحه. ومن الملاحظ، أنّ موسى- عليه السلام- عندما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم، داخله الخوف، فردّ الله عليه مباشرة، ووجّهه بالنهي، قال:﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وما فيها من مؤكدات كثيرة. فوجّهه الله بهذا الفعل في هذا الموضع. ومعنى هذه الآية: ألق يا موسى ما بيمينك، هذه الآية التي سبق وأنْ رأيتها، ستقضي عليهم بها. واعلم بأن ما صنعوا كيد ساحر، ليست كالتي معك، واعلم أيضًا، بأن الساحر لن يفلح أبدًا. وحول هذا الموضع لعلماء التفسير أقوال، وعن قوله تحديدًا:﴿مَا فِى يَمِينِكَ﴾، وسر إبهامها، ومفادها بأن هذه التي معك مع صغرها، إلا أنها ستقتضي عليهم. وقيل نُكّرت للتعظيم. قال محي الدين الدرويش: "كيف يحتقر العصا؟ والجواب: إن المقصود بتحقيرها في

---

[1] قد يُسال، كيف يأمر موسى – عليه السلام- بما هو سحر وكفر؟ والجواب من عدة وجوه، ذكرها الرازي في تفسيره، ج:22، ص 82.

جنب القدرة الإلهية تحقير كيد السحرة بطريق الأولى؛ لأنها إذا كانت وهي الحقيرة الضئيلة التي لا يؤبه بها بالنسبة للقدرة الإلهية، قد أطاحت بما أتوا به من أضاليل وأكاذيب، فما ظنك بكيدهم، وأقل شيء يذهب به، وهذا معنى دقيق، قلّ من يتفطن له"[1]. وقال أيضًا: "هناك نكتة أخرى غير هذه، وهي أنّ الله في بداية حواره مع موسى- عليه السلام- قال له: ما هذه التي بيمينك يا موسى؟ وأظهر الله له المعجزة فيها، فكرر نفس اللفظ، وقال:﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾، فيكون ذلك تنبيها له وتأنيسًا، حيث خُوطب بما عهد أنْ يخاطب به وقت ظهور آيتها"[2]. وأرى أنّ هذا أقرب من شأن التحقير. وهذا رأي الألوسي أيضًا[3].

الموضع الواحد والثلاثون، قوله: (فاقضِ)، في الآية الثانية والسبعين، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، وهذا فعل أمر توجيهي، إنجازي، خرج إلى معنى التسوية. إذ صدر من السحرة أنفسهم مخاطبين فرعون وهو سيّدهم. وذلك بعدما آمنوا ودخل الإيمان في قلوبهم. وهنا نلاحظ أنهم لا يمتلكون ما يسوّغ لهم استخدام التوجيه. فهذا النوع من التوجيه، قد يُلحق بهم الضرر، لكنهم قالوا ذلك، غير مبالين بما سيجري لهم، بل راحوا يسوّغون لأنفسهم ما أقدموا عليه، وأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا آملين بالمغفرة من ربهم. وقد يعكس عدم اكتراث المتكلم بمكانة المخاطب، التحول الإيجابي الذي طرأ عليه، إنهم يتحولون في لحظة من الكفر إلى الإيمان، ويرافق هذا التحول، تحول في دلالات ألفاظهم التي أرسلوها صاعقة تحرق مكانة فرعون وتهدُّ صرحه، فتتلاشى دلالات التعظيم، والتوفير والإجلال وتحل محلها دلالات التحقير والإهانة والاستخفاف، مُجسمةً الإيمان الذي سكن قلوبهم"[4]. ومن

---

[1] الدرويش، محي الدين. إعراب القرآن وبيانه، ط: 6، دار اليمامة، دمشق، 1999، م: 4، ج: 16، ص701.

[2] نفسه، ج16، ص 702.

[3] انظر: الألوسي، مرجع سابق، ج: 16، ص228.

[4] نزال، مرجع سابق، ص188.

المعلوم أنّ الأمر، لكي يتحقق لا بدّ من وجود سُلطة مُخولة، والسحرة هنا، لا يمتلكونها، فكيف صحّ ذلك؟ أقول: إن السحرة لما آمنوا ودخل الإيمان قلوبهم سوّغ لهم أن يأمروا فرعون، بغطاء من سُلطة الدين المختفية وراءهم، وهذه السُلطة تجعلهم أيضًا، غير مبالين بما سيخلفه هذا التوجيه من عواقب.

الموضع الثاني والثلاثون، قوله: (أسْرِ)، والموضع الثالث والثلاثون، قوله: (اضرب)، وكلاهما في الآية السابعة والسبعين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾، وقد جاء كل من الفعلين، على حقيقته، وهما أمران من الله تعالى مخاطبًا موسى- عليه السلام- بأنْ يسرى بالقوم ليلاً، ثم يضرب لهم بالبحر طريقًا، وأعقب هذين الفعلين بقوله: لا تخاف يا موسى من إدراك فرعون لكم ولا تخشى. وقد قُرئت (لا تخفْ) بالجزم، ونُسبت هذه القراءة لحمزة، ذكرها الفراء[1] . وإن كانت كذلك، فهنا يصبح لدينا، توجيه مركّب بين الأمر والنهي.

الموضع الرابع والثلاثون، قوله (كلوا)، في الآية الواحدة والثمانين، قال تعالى:﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾، وهذا أمر من الله خرج إلى معنى الإباحة.إذ القائل هو الله سبحانه مخاطبًا قوم موسى الذين خرجوا معه. وفي هذه الآية، عدّة توجيهات، أولها: التوجيه بالأمر من الله. وثانيها: التوجيه بالنهي، قال:﴿ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ ﴾. وآخرها: التوجيه بذكر العاقبة بالشرط، وسيأتي الحديث عنهما في موضعيهما.

الموضع الخامس والثلاثون، قوله: (اتبعوني)، والموضع السادس والثلاثون، قوله: (أطيعوا)، وكلاهما في الآية التسعين، قال: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ

---

[1] انظر: الفراء، أبي زكريا. معاني القرآن، ط: 3، عالم الكتب، بيروت، 1983، ج: 2، ص 178.

ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴾، وقد جاء فعلا الأمر في هذه الآية من هارون- عليه السلام- مخاطبًا قومه. وخرج الأمر في الفعلين إلى معنى النصح. ونلاحظ أنّ التوجيه بالنداء في الآية جاء قبل الأمر وعليه يكون التوجيه في هذا الموضع، توجيهًا مركبًا. قال ابن عاشور: "وافتتاح خطابه بـ "يا قوم" تمهيدٌ لمقام النصيحة"[1]. وقال أيضًا: "رتّب هارون خطابه على حسب الترتيب الطبيعي لأنه ابتدأه بزجرهم عن الباطل وعن عبادة ما ليس برب، ثمّ دعاهم لمعرفة الرب الحق، ثم دعاهم لمعرفة الرسول إذ كان رسولا بينهم، ثم دعاهم للعمل بالشرائع"[2]. وقال ابن عطية: "فاتبعوني إلى الطّور الذي واعدكم الله تعالى إليه، وأطيعوا أمري فيما ذكرت لكم"[3].

الموضع السابع والثلاثون، قوله: (اذهب)، والموضع الثامن والثلاثون، قوله: (انظر)، وكلاهما في الآية السابعة والتسعين، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا ﴾، وهنا جاء الفعلان على حقيقتيهما، إذ هما صادران من موسى- عليه السلام- مخاطبًا السامري، وقد تحقق لهما شروط إنجازهما. يقول سيد قطب: "اذهب مطرودًا لا يمسك أحد بسوء ولا بخير، ولا تمس أحدًا. وكانت هذه إحدى العقوبات، وهي: عقوبة العزل"[4]. ثم اعلم يا سامريّ أن لك موعدًا يوم القيامة، وانظر إلى الذي صنعت أنت بيدك، سوف نحطمه ونرميه في البحر[5].

الموضع التاسع والثلاثون، قوله (قل)، في الآية الخامسة بعد المئة، قال تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴾ ، وهذا أمر جاء على حقيقته، إذ هو صادر من الله سبحانه

---

[1] ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص290.

[2] نفسه، الصفحة نفسها.

[3] ابن عطية، عبدالحق. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، م: 4، ص 60.

[4] قطب، مرجع سابق، ج: 16، ص2349.

[5] نفسه، الصفحة نفسها.

مخاطبًا نبيّه محمدًا– صلى الله عليه وسلم– وقد تحقق له شروط نجاحه. وهنا وقفة بسيطة: فعل الأمر (قل)، ورد في القرآن كثيرًا، كلها بدون الفاء العاطفة إلا هذا الموضع، فقد ورد مع الفاء، والسبب وراء ذلك، أنه في كل المرات التي ورد فيها هذا الأسلوب، كان السؤال قد وُجه فعلاً للرسول– صلى الله عليه وسلم– إلا في هذه المرة، فهو مفترض، بمعنى: إن سألوك فقل[1]. أما الرازي، فيرى أن السؤال هنا قد وقع، ولكن كان غرضهم وهدفهم التشكيك والطعن، فجاء فعل الأمر مقترنًا بفاء التعقيب؛ لأنه لا يجوز التأخير في مثل هذه المسألة الأصولية. وقد وافقهُ صاحب البحر المحيط، والألوسي أيضًا[2].

الموضع الأربعون، قوله: (قل)، والموضع الواحد والأربعون، قوله: (زدني)، وكلاهما في الآية الرابعة عشرة بعد المئة، قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾، وهنا جاء فعل الأمر: (قل) على حقيقته؛ إذ خاطب الله عزّ وجلّ به نبيه محمّدًا– صلى الله عليه وسلم– بعد توجيهه بالنهي قبل ذلك، قال: (ولا تعجل). وجاء فعل الأمر: (زدني)، محكيًا على لسانه– صلى الله عليه وسلم– بعد توجيهه بالنداء قبله، وعليه، يكون الأمر قد خرج إلى معنى: الدعاء، وهذا الأسلوب دائمًا ما يرد بعد نداء الرسل– عليهم السلام– لربهم. وزاد الرازي وغيره، في هذا الموضع، أنّ هذه الجملة: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾، مقدمة لما سيأتي من ذكر قصة آدم– عليه السلام– في الآيات التالية لهذا الموضع. وعدّوا ذلك، استجابة لدعوة النبي– صلى الله عليه وسلم– عندما ذكر له ما حصل لآدم[3].

---

[1] انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج:16، ص 307. وانظر: عوض، مرجع سابق، ص120.

[2] انظر: الرازي، ج: 22، ص 117. وانظر: أبو حيان، ج: 6 ص 259. وانظر: الألوسي، ج: 16 ص261.

[3] انظر: الرازي، ج: 22 ص 124. وانظر: ابن عاشور، ج: 16 ص 318. وانظر: أبو حيّان، ج: 6 ص 262.

الموضع الثاني والأربعون، قوله (اسجدوا)، في الآية السادسة عشرة بعد المئة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾، وهنا جاء فعل الأمر على حقيقته، إنجازيًا، محققًا شروط نجاحه، إذ الآمر هو الله مخاطبًا الملائكة. وللمفسرين حول هذه الآية وقفات، إذ اختلفوا من عدّة جوانب، منها: كيفية السجود. ومنها: هل إبليس من الملائكة؟ ومنها: هل إبليس مخاطب بجانب الملائكة؟ ومنها: هل الملائكة كلهم امتثلوا لأمر الله بالسجود، وغير ذلك من الاختلافات، وهذا كله لا يعنينا في هذا المقام.

والآن؛ لننظر في هذه الآية منذ البداية، قال تعالى: (قلنا)، ولم يقل: (قلت). وهذا كما هو معلوم للتعظيم، ولكن له توجيه آخر، حريٌ بالتأمل. إن الله سبحانه عندما أمر الملائكة بالسجود، كان الأمر فيه غضاضة على المأمورين، فناسبهُ إظهار عظمة الخالق. ولأن الأمر هنا، أمرٌ لا مجال فيه للفصل والفسحة؛ جاء الجواب مباشرة مقترنًا بفاء التعقيب، قال: (فسجدوا)، وقد حذف أيضًا، الجار والمجرور بعد هذا الفعل، للعلم به. والتقدير:(فسجدوا له)[1].

الموضع الثالث والأربعون، قوله: (اهبطا)، في الآية الثالثة والعشرين بعد المئة، قال تعالى:﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾، وهذا أمر من الله سبحانه مخاطبًا آدم وإبليس. وقد تحقق لهذا الفعل شروط نجاحه، وإنجازه. والأمر هنا، خرج إلى معنى: التكوين. لأنهما عاجزان عن الهبوط إلا بتكوين من الله. ونجد هنا، أن المفسرين قد اختلفوا في المخاطب في هذه الآية. فقال بعضهم: المقصود آدم وحواء فقط. وقال آخرون: المقصود آدم وذريته وإبليس وذريته. والآية هنا، كأنها جواب للسؤال المقدّر عن

---

[1] انظر: أبو حيان، مرجع سابق، ج:1، ص 152، وانظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج:1، ص 421.

حال آدم. فذكر الله هذه الآية وما بعدها. وما يهمنا هنا أن التوجيه قد وقع بفعل الأمر المكتملة شروطه[1].

الموضع الرابع والأربعون، قوله: (فاصبر)، والموضع الخامس والأربعون، قوله: (سبّح)، والموضع السادس والأربعون، قوله: (فسبّح)، وكلها في الآية الثلاثين بعد المئة، قال تعالى:﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾. وهذه أفعال أمر ثلاثة، جاءت على حقيقتها، ومحققة شروط نجاحها وإنجازها. إذ هي صادرة من الله سبحانه مخاطبًا بها نبيّه محمدًا- صلى الله عليه وسلم- فالفاء في قوله (فاصبر)، عطف على من قال وتكلم عن الرسول- عليه الصلاة والسلام- إنه ساحر أو مجنون. وقال بعض المفسرين: إن العطف عائد على عدم استعجالك يا محمد بعذاب هؤلاء، إذ هو إمهال لا إهمال. ثم قال:﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾، والباء هنا: للملابسة. أي حامدًا لربك. وقد حدَّد الله له الأوقات، وأكثر المفسرين على أنها أوقات الصلوات الخمس. وجاء الأمر بالتسبيح بعد الأمر بالصبر؛ لما للتسبيح من راحة وطمأنينة. ثم كرر الأمر بالتسبيح مقترنًا بالفاء، قال: (فسبح)، بعد تقديم الجار والمجرور: ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ ﴾؛ للاهتمام، وبهذا شابه تقديم أسماء الشرط المفيدة معنى الزمان، فعومل الفعل معاملة جواب الشرط. ووجه الاهتمام بالجار والمجرور المقدم، أنه وقت للراحة والسكن، فيُخشى أنْ يتساهل فيه، ثم بيّن الله في نهاية الآية السبب بقوله:﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾ ، أي: ترضي نفسك يا محمد بها. وبينّه قوله صلى الله عليه وسلم: "جُعلت قُرة عيني في الصلاة". وقرأ الكسائي، وأبو بكر عن عاصم: (تُرْضَى) بضم التاء، أي: يرضيك ربك يا محمد[2].

---

[1] انظر: الزمخشري، مرجع سابق، ج: 16 ص 669. وانظر: الرازي، مرجع سابق، ج: 6، ص 120. وانظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 328.

[2] انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 339. وانظر: الرازي، مرجع سابق، ج: 6، ص133.

الموضع السابع والأربعون، قوله: (وأمر)، والموضع الثامن والأربعون، قوله: (اصطبر)، وكلاهما في الآية الثانية والثلاثين بعد المئة، قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾، وهنا أمران جاء على حقيقتيهما، محققان شروط إنجازهما. إذ المرسل هو الله سبحانه، والمخاطب هو محمد- صلى الله عليه وسلم- ويدخل معه في الخطاب أمته[1]. وقد اختلف المفسرون في المراد بالأهل، حيث قصر بعضهم ذلك على أهل بيته خاصة[2]. وآخرون يرون أنّ الأمر وإن كان لأهله خاصة، فهو لجميع المسلمين[3]. بعد ذلك جاء العطف بالأمر فقال: (واصطبر). قال ابن عاشور: "أمر الله رسوله بما هو أعظم مما يأمر به أهله، وهو أن يصطبر على الصلاة. والاصطبار: الاحتباس، مطاوع صبره، إذا حبسه، وهو مستعمل مجازًا في إكثاره من الصلاة"[4]. ولسائل أن يسأل: لمَ لمْ يأمر النبي بالصلاة، وإنما قُصر على الأهل؟ فالجواب من عدّة وجوه: لكون إقامتها بالنسبة له مُسلّم به. أو لكون الأمر بها قد تقدم. أو لكون أمر أهله يُعتبر أمرًا له[5]. وقال السامرائي: "اصطبر جاءت في الصلاة لأنها مستمرة كل يوم، وزيادة المبنى تفيد زيادة المعنى، والصلاة كل يوم في أوقاتها وتأديتها حق أدائها وإتمامها، يحتاجان إلى صبر كبير؛ لذا جاءت كلمة (اصطبر) للدلالة على الزيادة في الصبر"[6]، والله أعلم.

الموضع التاسع والأربعون، قوله: (قل)، والموضع الخمسون، قوله: (فتربصوا)، وكلاهما في الآية الأخيرة- الخامسة والثلاثين بعد المئة- قال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾. وهنا جاء فعل الأمر: (قل) على حقيقته، وتحقق التوجيه، إذ

---

[1] انظر: القرطبي، مرجع سابق، ج: 11، ص 263.

[2] نفسه، الصفحة نفسها.

[3] انظر: الرازي، مرجع سابق، ج: 22، ص 136.

[4] ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 342.

[5] انظر: الشوكاني، مرجع سابق، ج: 3، ص 394.

[6] السامرائي، مرجع سابق، موقع إسلاميات عبر الرابط: http://islamiyyat.com.

الآمر هو الله، والمخاطب هو محمد- صلى الله عليه وسلم- والمعنى: قل لهم يا محمد كل منا ومنكم منتظر عاقبة أمره. أما الفعل الآخر، وهو قوله: (فتربصوا) فتحقق التوجيه من خلاله، إلا أنّ الأمر هنا، خرج إلى معنى الإنذار من الله سبحانه. قال ابن عاشور: "وصيغة الأمر فيه مستعملة في الإنذار. ويُسمى: المتاركة. أي نتركم وتربصكم لأنّا مؤمنون بسوء مصيركم"[1].

المسألة الثانية: الأمر بالصيغة القياسيّة "افعل" المقدّرة

عند قراءة سورة طه قراءة متأنية، تبين أنّ هذا الأسلوب لم يرد إلا في موضعين، الأول قوله: (اختر)، المقدّر في الآية الخامسة والستين، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾، وهذا توجيه من السحرة لموسى- عليه السلام- كأنهم قالوا: يا موسى إما أن تلقي أنت وإما نحن سنلقي[2]. وعليه، يكون فعل الأمر، هنا قد خرج إلى معنى التخيير. وقد تحققت شروط نجاح هذا الفعل. وبجانب التوجيه بالفعل المقدر، نجد قبله التوجيه بالنداء وسنتحدّث عنه في موضعه. وحول هذه الآية، قال بعض المفسرين: جاء هذا الأمر الاختياري من السحرة تأدبًا مع موسى- عليه السلام- ولعله كان سببًا في إيمانهم فيما بعد، وقال آخرون: قالوا ذلك ثقةً منهم[3]. قالت (روبين لاكوف) عند محاولتها صياغة بعض قواعد التأدب: كنْ مؤدبًا وكنْ واضحًا، وسمّت هاتين القاعدتين: قواعد الكفاءة التداولية، وقد فرّعت من قاعدة التأدب، عددًا من القواعد، سمّتها: قواعد تهذيب الخطاب، وذكرت منها: قاعدة التخيير وتعني: أن المرسل يتيح للمرسل إليه فرصة اتخاذ القرار، وقالت أيضًا: دع خياراته مفتوحة[4].

---

[1] ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 348.

[2] يُسمى هذا النوع من الأمر، بالأمر الاختياري، وله شواهد أخرى في القرآن، وللاستزادة، انظر: صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم، لتقي الدين الطحان، رسالة ماجستير، ص 146.

[3] انظر: الألوسي، مرجع سابق، ج: 16، ص 226.

[4] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص 335.

وعند العودة للآية الكريمة، نجد ذلك، غير متاح؛ لأنهم وإن خيّروا موسى- عليه السلام- إلا أنهم قيّدوه. وهذا بعكس ما كانت تقصده (روبين لاكوف). وأرى أنّ السبب هو عدم ثقتهم بأنفسهم، إذ هم سحرة ويعلمون تمامًا أن ما يفعلونه مجرد سحر وباطل؛ لذلك ترددوا. والله سبحانه أعلم.

والثاني قوله: (اعلم) المحذوف في الآية السابعة، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾، وقد حُذف هنا؛ لإنه وقع جوابًا للشرط، والتقدير: إن جهرك يا محمد معلوم. والخطاب هنا، للرسول- صلى الله عليه وسلم- ظاهرًا، والمراد أمته. قال ابن عاشور: "يجوز أن يكون الخطاب للنبي- صلى الله عليه وسلم- وهو يعمُّ غيره. ويجوز أن يكون لغير مُعين ليعم كل مخاطب"[1]. والأمر في هذا الموضع للنهي، قال الزمخشري: "فإن قلت: كيف طابق الشرط الجزاء؟ قلت: معناه وإنْ تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره، فاعلم أنه غني عن جهرك، فإما أن يكون نهيًا عن الجهر، وإما أن يكون تعليميًا للعباد أن الجهر ليس لإسماع الله وإنما لغرض آخر"[2]. وهذا هو الموضع الوحيد الذي جاء على هذا الأسلوب، وهو فعل توجيهي تحققت له شروط نجاحه. وبهذا الموضع، تنتهي المواضع الواردة في السورة على صيغة (افعل)، وقد وردت في واحد وخمسين موضعًا.

المسألة الثالثة: الأمر بلام الأمر الداخلة على الفعل المضارع

عند قراءة وتحليل سورة طه، تبين أن هذا الأسلوب لم يرد إلا في موضع واحد، وهو قوله (فليلقه) في الآية التاسعة والثلاثين، قال تعالى: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ

---

[1] ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 189.

[2] الزمخشري، مرجع سابق، ج: 16، ص 651.

يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾، في هذا الموضع جاء فعل الأمر على صيغة المضارع المسبوق باللام الجازمة، وجاء الأمر بمعنى الخبر، وورد بصيغة الأمر مبالغة، إذ الأمر أقطع الأفعال وأوجبها، قال الزمخشري: "لما كانت مشيئة الله وإرادته أن لا تخطئ جرية ماء اليمّ الوصول به إلى الساحل وإلقاءه إليه، سلك في ذلك سبيل المجاز، وجعل اليمّ، كأنه ذو تمييز، أُمِرَ بذلك ليطيع الأمر، ويتمثل رسمه"[1]. وقال الترمذي: إنما ذكره بلفظ الأمر لسابق علمه بوقوع المخبر به على ما أخبر به، فكأن البحر مأمور ممتثل للأمر[2]. قال الفراء: أمر فيه معنى المجازاة[3].

وهذا هو الأمر الوحيد في هذه السورة الذي ورد على هذه الصيغة، وهو فعل توجيهي تحققت له شروط نجاحه، إذ المرسل هو الله والمخاطب هو اليمّ.

المسألة الرابعة: الأمر بالمصدر النائب عن الفعل

عند قراءة سورة طه قراءة متأنية تبين أن هذا الأسلوب لم يرد إلا مرة واحدة أيضًا. وهو قوله: (ويلكم)، في الآية الواحدة والستين، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾، والمعنى هنا: ألزمكم الله ويلا. وعليه يكون الأمر قد خرج إلى معنى: الدعاء. وهو فعل توجيهي تحققت له شروط نجاحه. قال الطحّان: "أما الويل فهو دعاء بالشر، وهو مصدر لا فعل له من لفظه. نظرًا لأن فاءه وعينه معتلان، فقولي داعيا: (ويل لهم) أي: ألزمهم الله ويلا، وكذلك: ويلك وويلكم، أي: ليلزمك الله الويل"[4]. وقال ابن عاشور: "والخطاب

---

[1] نفسه، مرجع سابق، ج: 16، ص 655. وهذا من باب إنزال غير العاقل منزلة العاقل؛ ومنه في القرآن: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الأنبياء، آية: 69.

[2] انظر: أبو حيان، مرجع سابق، ج: 6، ص 266.

[3] انظر: القرطبي، مرجع سابق، ج: 11، ص 190.

[4] الطحان، مرجع سابق، ص 123.

بقوله: (ويلكم) يجوز أن يكون أراد به حقيقة الدعاء، فيكون غير جارٍ على ما أمر به من إلانة القول لفرعون، إما لأن الخطاب بذلك لم يكن موجهًا إلى فرعون، بل كان موجهًا للسحرة، وإما لأنه لما رأى أن إلانة القول له غير نافعة، أغلظ القول زجرًا له بأمر خاص من الله. وقال: يجوز أن تكون كلمة: (ويلكم) مستعملة في التعجب، أي: أعجب منكم وأحذركم"[1].

وبهذا الموضع ينتهي المبحث الأول، وهو: الاستراتيجيّة التوجيهيّة في الأمر، ونلاحظ أن ما ورد من أدوات الأمر في السورة الكريمة لا يعدو أن يكون صيغة من صيغ أربع، هي:

- صيغة "افعلْ" القياسيّة صريحةً، ووردت في خمسين موضعًا.
- صيغة " افعلْ" القياسيّة مقدّرةً، ووردت في موضعين.
- صيغة لا الأمر الداخلة على الفعل المضارع، ووردت في موضع واحد.
- صيغة المصدر النائب عن الفعل، ووردت في موضع واحد أيضًا.

أما باقي الأدوات التي يؤدّى بها معنى الأمر فلم ترد في السورة الكريمة.

---

[1] ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 249.

المبحث الثاني: الاستراتيجية التوجيهية في النهي

يحتلّ النهي مكانة واسعة في الحوارات القرآنية، إلا أنه أقل حضورًا من الأمر. وقد ورد في سورة طه كغيره من الأساليب اللغوية المستخدمة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة.

والنهي هو: طلبُ الكفّ من الفعل على جهة الاستعلاء، وصيغته واحدة، وهي المضارع المقترن بلا الناهية "لا تفعل"[1]. قال السكاكي: "للنهي حرف واحد، وهو:"لا" الجازم في قولك: لا تفعل، والنهي محذو به حذو الأمر في أن أصل الاستعمال: لا تفعل، أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب، وإلا أفاد طلب الترك فحسب"[2]. وعدَّ السكاكي النهي من أقسام الطلب الذي يستدعي مطلوبًا فيه إمكان الحصول، مثله مثل الأمر والنداء، إلا أنه يختلف عنها في كونه طلب انتفاء تصور في الخارج. وهو بهذا يُعدُّ فعلاً إنجازيًا إذا جاء على أصله، مستوفيًا شروطه. أما إذا اختل أحد شروطه، خرج عن معناه إلى دلالات أخرى تفهم من السياق[3].

أما عند المتأخرين: فهو فعل كلامي إنجازي ينتمي إلى صنف التوجيهات حسب تصنيف: "سيرل"، ويكون كذلك إذا ورد بحسب أصل الاستعمال: (الصيغته، والاستعلاء، والزمن)، وإن اختل أحد هذه الشروط، فإنه يتولد عنه أفعال كلامية غير مباشرة تُنجز من خلال صيغته لتأدية أغراضٍ تواصليةٍ أخرى، كالدعاء والالتماس، والتهديد، وغيرها. وضابط ذلك سياق الاستعمال[4].

---

[1] انظر: هارون، عبد السلام. الأساليب الإنشائية. ط3، مكتبة الخانجي القاهرة، 1981م، ص15.

[2] السكاكي، مرجع سابق، ص320.

[3] انظر: لهويمل، مرجع سابق، ص154. وانظر: السكاكي، مرجع سابق، ص 320.

[4] انظر: لهويمل، مرجع سابق، ص154.

ولعل اختيار تركيب النهي في طلب الكفّ والأمر بالترك يحقق مواجهة وتفاعلاً مع الطرف الآخر لا يحققها تركيب بديل. فالنهي عن ممارسه الفعل يستفزُ تأمل المنهي في حقيقة الفعل الذي كان سيؤديه أو يؤديه، وعاقبة هذا الفعل، فالنفس البشرية تستثيرها صيغة: لا تفعل[1].

أسلوب النهي في سورة طه:

يعدُّ النهي واحدًا من الأساليب اللغويّة التوجيهيّة في سورة طه؛ ولهذا الأسلوب صيغتان قياسيتان: الأولى صيغة"لا تفعل"، والثانية صيغة لا تفعل المؤكدة بالنون الثقيلة. وفي السطور القادمة بيان بهاتين الصيغتين:

أولاً: النهي بالصيغة القياسيّة "لا تفعل"

وقد وردت هذه الصيغة في السورة الكريمة في تسعة مواضع؛ هي على النحو الآتي:

الموضع الأول، قوله: (لا تخف)، في الآية الواحدة والعشرين، قال تعالى: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴾، وهذا فعل توجيهي جاء على حقيقته، إذ هو صادر من الله مخاطبا نبيه موسى- عليه السلام- وهو توجيه تحققت له شروط نجاحه. ونلاحظ في هذا الموضع أنَّ التوجيه بالنهي قد سبق بالأمر، وقد مرَّ معنا في مبحث الأمر، وهو ما يُسمى بالتوجيه المركب. ومعنى هذه الآية: أن الله سبحانه أمر موسى- عليه السلام- بأن يأخذ العصا ولا يخاف مما يرى منها وتحولها، وذكر الله بعد التوجيه بالأمر أنه سيعيد هذه العصا المتحولة إلى ما كانت عليه من قبل، وفي هذا السياق قال بعض المفسرين: أنه بعد قوله:﴿ وَلَا تَخَفْ ﴾، بلغ الأمر بموسى أن يدخل يده في فم هذه الحيّة[2].

---

[1] انظر: نزال، مرجع سابق، ص206.

[2] انظر: الرازي، ج: 22، ص29. وانظر: أبو حيان، ج:6، ص221.

الموضع الثاني، قوله: (لا تنيا)، في الآية الثانية والأربعين، قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾، وهذا فعل توجيهي جاء هو الآخر على حقيقته، إذ هو صادر من الله مخاطبًا موسى- عليه السلام. وهو توجيه تحققت له شروط نجاحه. ونلاحظ الفعل ﴿تَنِيَا﴾، جاء بألف الاثنين، وإن كان المخاطب مفردًا. والسبب: أنَّ الله أمَر موسى في البداية وكان الخطاب موجهًا إليه بنفسه إلا أن موسى عندما عَلِم حجم هذا الطلب توجّه إليه بجملة من الدعوات، والتي من ضمنها إشراك هارون معه، فجاء الردّ من الله وقال لك ما تريد يا موسى، وأعقب الله بعد ذلك وذكر مجموعة من المنن التي تفضّل بها عليه، ثم عاد الطلب مجددًا بالذهاب إلى فرعون، ولكن هذه المرة بإشراك هارون معه في الخطاب. وكل ذلك لزيادة إطمئنان موسى عليه السلام. وقد سبق التوجيه بالنهي، توجيه بالأمر، وهنا يكون التوجيه مركبًا. قال ابن عاشور: "ومعنى: "لا تنيا" أي: لا تضعُفا. يقال: ونَى ينِي ونْيً، أي ضعُف في العمل، أي: لا تنِ أنت وأبلغ هارون أن لا ينِي"[1].

الموضع الثالث، قوله: (لا تخافا)، في الآية السادسة والأربعين، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾. وهذا توجيه جاء على حقيقته إذ الناهي هو الله والمخاطب موسى- عليه السلام- وهو توجيه بالنهي إنجازي تحققت له شروط نجاحه. والنهي هنا جاء ردًا من الله على موسى- عليه السلام- إذ نقل القرآن عن موسى وهارون قولهما: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾، وموسى- عليه السلام- قال ذلك بعدما أُمر للمرة الثانية بالذهاب، وموسى يعلم جيدًا من هو فرعون. فنهاه الله عن ذلك، وقال له: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾، قال الألوسي: "وقوله: (إنني معكما)، تعليل لموجب النهي ومزيد تسلية لهما، والمراد بمعيته كمال الحفظ والنصرة، كالذي

---

[1] ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 223. وفي اللسان، الونا: الفَتْرةُ في الأعمال والأمور، والتُّواني والونا: ضَعْفُ البَدَن. انظر: ابن منظور، مادة: ونى.

يقول: الله معك، على سبيل الدعاء، وأكّد ذلك بقوله: (أسمع وأرى) وهو بتقدير المفعول أي ما يجري بينكما وبينه من قول أو فعل، فافعل في كل حال ما يليق بها من دفع شرٍ أو جلب خير"[1].

الموضع الرابع، قوله: (لا تعذبهم)، في الآية السابعة والأربعين، قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾. وهذا فعل توجيهي جاء على حقيقته، ولكن هذه المرة المرسل هو موسى-عليه السلام- مخاطبًا فرعون، قائلاً له: لا تعذب بني إسرائيل، وقد طلب منه قبل أن ينهاه، أن يطلق سراحهم ويخلّي عنهم. وقد علل موسى هذا الطلب بقوله، الذي نقله القرآن عنه:﴿ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾، والآية قيل إنها: العصا أو اليد، وذلك تأكيدًا بأن دعوتهما حق، وفي إسناد الضمير إليه في قوله:﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾، إشارة إلى أنه مربوب مقهور، وأخيرًا، التوجيه بذكر العاقبة وهي قوله:﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾، وكل ما سبق؛ للضغط على فرعون. وفي هذا الموضع اجتمع ثلاثة توجيهات: التوجيه بالأمر من الله لموسى مرتين، وأمر من موسى لفرعون، ثم التوجيه بالنهي من موسى لفرعون، وأخيرًا، ذكر العاقبة.

الموضع الخامس، قوله: (لا تفتروا)، في الآية الواحدة والستين، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾. وهذا توجيه إنجازي صادر من موسى- عليه السلام مخاطبًا السحرة، والمعنى: قال لهم موسى ألزمكم الله الويل، لا تفتروا على الله الكذب، ثم بيّن أن من يفعل ذلك يحلُّ عليه العذاب المهلك المستأصل، ثم ذكر عاقبة ذلك، وهي الخيبة والحرمان. ونلاحظ أن بنية النهي اقترنت بالتهديد والتوبيخ. والتوجيه في هذا الموضع توجيه مركب اشتمل على: أمر (دعاء) على تأويل: ليلزمكم الله الويل، ونهي، ثم ذكر عاقبة.

---

[1] الألوسي، مرجع سابق، ج: 16، ص197.

الموضع السادس، قوله: (لا تخف)، في الآية الثامنة والستين، قال تعالى: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴾. وهذا توجيه بالنهي جاء على حقيقته؛ إذ هو صادر من الله مخاطبًا موسى-عليه السلام- وهو توجيه إنجازي تحققت له شروط نجاحه. والسبب وراء نهي الله موسى هنا، أن موسى- عليه السلام - مناوره الخوف، وذلك بعد رمي السحرة لحبالهم وعصيهم، قال تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾، وخوف موسى هنا، خوف تفكّر، إذ لم تظهر عليه علامات الخوف، فجاءت الآيات بجملة من المؤكدات بعد صيغة النهي الموجهة لموسى- عليه السلام، وهي قوله: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴾؛ لكي يطمئنّ. وهذه المؤكدات، هي: (إن) المؤكّدة، وضمير الفصل(أنت) المؤكّد، والخبر الوارد معرّفًا(الأعلى)، ولفظ العلو الدالّ على الغلبة، وصيغة التفضيل (الأعلى)[1].

الموضع السابع، قوله: (لا تطغوا)، في الآية الواحدة والثمانين، قال تعالى: ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾. وهذا توجيه بالنهي جاء على حقيقته، وهو صادر من الله سبحانه، والمخاطبون هم القوم الذين أنجاهم الله من فرعون. والتوجيه هنا توجيه إنجازي تحققت له شروط نجاحه. ونهى الله هؤلاء القوم عن الطغيان والتجاوز بعدما أمرهم بالأكل من الطيبات، وذكر عاقبة من يقدم على ذلك. وتحدث الرازي عن عدّة وجوه في قوله:﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ﴾، أولها: قول ابن عباس- رضي الله عنه- أي: لا يظلم بعضكم بعضًا. وثانيها: قول مقاتل والضحاك: لا تتجاوزوا حد الإباحة. وآخرها قول الكلبي: لا تكفروا بالنعمة[2].

نلاحظ في هذا الموضع، ثلاثة توجيهات: توجيه بالأمر، ثم توجيه بالنهي، ثم توجيه بذكر العاقبة.

---

[1] انظر: الصابوني، مرجع سابق، ص711.

[2] انظر: الرازي، مرجع سابق، ج: 22 ص96.

الموضع الثامن، قوله: (لا تأخذ)، في الآية الرابعة والتسعين، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾. وهذا توجيه بالنهي خرج إلى معنى: الالتماس، إذ الأمر بالنهي هارون مخاطبًا موسى- عليهما السلام- وقد سبق التوجيه بالنهي، توجيه بالنداء وهو صادر من هارون أيضًا مخاطبًا موسى- عليهما السلام- وقد ذكر الأم مع أنه أخ له من الأب أيضًا؛ طلبًا للرقة والاستعطاف، وزاد هارون- عليه السلام- معللاً، بقوله الذي نقله عنه القرآن: إني خشيت أن يتفرق القوم وتشتعل الفتنة بينهم. ونلاحظ أن هذا التركيب، سواء كان أمرًا أو نهيًا، إذا سبق بالنداء، فإنه دائمًا يخرج عن الغرض الأصلي. وليس يخفى أن التوجيه هنا، توجيه مركب من نداء ونهي.

الموضع التاسع، قوله:(لا تعجل)، في الآية الرابعة عشرة بعد المئة، قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾. وهذا توجيه بالنهي جاء على حقيقته، ولكن هذه المرة انتقل الخطاب- بعد انتهاء قصة موسى- إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- فصدر النهي من الله لنبيه، وهو توجيه تحققت له شروط نجاحه. وقد اختلف المفسرون، في قوله: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ ﴾، قال الرازي: "ويحتمل أن يكون المراد: لا تعجل بقراءته في نفسك. ويحتمل أن يكون المراد: لا تعجل في تأديته لغيرك. ويحتمل: في اعتقاده ظاهره، ويحتمل أن يكون: في تعريف الغير ما يقتضيه ظاهره. وأما قوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾، فيحتمل أن يكون المراد: قبل أن يُقضى إليك تمامه. ويحتمل: قبل أن يقضى بيانه؛ لأن هذين الأمرين لا يمكن تحصيلهما إلا بالوحي، ومعلوم أنه عليه السلام لا يُنهى عن قراءته؛ لكي يحفظه ويؤديه. فالمراد إذن: أن لا يبعث نفسه ولا غيره عليه، حتى يتبين بالوحي تمامه أو بيانه أو هما جميعًا؛

لأنه يجب التوقف في معنى الكلام ما لم يأتِ عليه الفراغ لما يجوز أن يحصل بعده من استثناء أو شروط، أو غيرها من المخصصات"[1].

و"جملة: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، إشارة إلى أن المنهي عنه استعجال مخصوص، وأن الباعث عليه محمود، وفيه تلطف مع النبي- صلى الله عليه وسلم- إذ اتبع نهيه عن التعجل الذي يرغبه بالإذن له بسؤال الزيادة من العلم، فإن ذلك مجمع كل زيادة، سواء كانت بإنزال القرآن، أم بغيره من الوحي والإلهام تشريعًا وفهمًا، إيماءً إلى أن رغبته بالتعجل رغبة صالحة"[2]. ونلاحظ في هذا الموضع توجيهات ثلاثة من الله لنبيه- صلى الله عليه وسلم- أولها النهي عن التعجل، وثانيها الأمر بأن يقول وينادي، وثالثها الدعاء بالزيادة من العلم. وهذا توجيه مركب أسهم في ترابط أجزاء الخطاب، كما هو ظاهر.

وبهذا الموضع، ينتهي النهي بالصيغة القياسية" لاتفعل"، حيث ورد في تسعة مواضع في هذه السورة الكريمة.

ثانيًا: النهي في سورة طه على الصيغة القياسية" لاتفعل" المؤكّدة بالنون الثقيلة

عند تحليل سورة طه، تبين أن هذا الأسلوب ورد في هذه السورة في ثلاثة مواضع فقط؛ وكل هذه المواضع جاء فيها الفعل المضارع مؤكدًا بالنون الثقيلة، وتؤثّر هذه النون المؤكدة على الفعل المضارع وتجعله خاصًا بالاستقبال بعد أن كان يصلح للحال والاستقبال معًا. قال ابن يعيش: "اعلم أن هاتين النونين الشديدة والخفيفة من حروف المعاني، والمراد بهما التأكيد. ولا تدخلان إلا على الأفعال المستقبلة خاصة، وتؤثّران فيها تأثيرين: تأثيرًا في لفظها، وتأثيرًا في معناها. فتأثير اللفظ: إخراج الفعل إلى البناء بعد أن كان معربًا. وتأثير المعنى: إخلاص الفعل

---

[1] الرازي، مرجع سابق، ج: 22 ص122.

[2] ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16 ص317.

للاستقبال بعد أن كان يصلح لهما. والمشددة أبلغ في التأكيد من المخففة؛ لأن تكرير النون بمنزلة تكرير التأكيد ....»[1].

ويقول الشهري: وقد يستعمل المرسِل لا الناهية مع نون التوكيد في الفعل المضارع، وفيه بعدٌ تداولي، إذ إنّ النهي فيه يعلو النهي بالفعل غير المقرون بنون التوكيد، وللنهي طبقات بناءً على السياق التداولي، وذلك بمعرفة خصائص المرسل إليه من الضعف والقوة، وكذلك أهمية الأمر المنهي عنه، ويمكن أن ينظر إلى النهي بوصفه درجات أو طبقات، كما ينظر إلى طبقات التداول في التوكيد مثلاً، وذلك باستعمال أداة دون أخرى بناء على درجة الإنكار في ذهن المرسل إليه[2].

والمواضع التي وردت بهذه الصيغة في السورة الكريمة هي:

الموضع الأول، قوله: (لا يصدنك)، في الآية السادسة عشرة، قال تعالى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾. وهذا فعل توجيهي بالنهي جاء على حقيقته. إذ المرسل هو الله سبحانه مخاطبًا موسى-عليه السلام- وهو توجيه تحققت له شروط نجاحه. وأضافت نون التوكيد للفعل اختصاصه بالمستقبل، لأن موسى- عليه السلام- لم يصدَّ بعد. وقد اختلف المفسرون في عَوْد الضمير في قوله: (عنها)، هل يعود إلى العبادة والصلاة، أم إلى الساعة. وذلك أن النهي جاء بعد أنْ أمرَ الله موسى- عليه السلام- بالعبادة وإقام الصلاة، ثم ذكر الساعة، قال تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾.

والذي يراه الباحث أنه عائد إلى الساعة؛ لأن الضمير يعود إلى الأقرب كما هو معلوم، وأن الاستعداد ليوم القيامة يقتضي العبادة وإقامة الصلاة. قال ابن عاشور: «و صِيغَ نهي موسى

---

[1] ابن يعيش، موفق الدين. شرح المفصل للزمخشري، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ج:5 ص163.

[2] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص351.

عن الصدِّ عنها، في صيغة نهي من لا يؤمن بالساعة عن أن يصدَّ موسى عن الإيمان بها، مبالغة في نهي موسى عن أدنى شيء يحول بينه وبين الإيمان بالساعة؛ لأنه لما وجه الكلام إليه، وكان النهي نهي غير المؤمن عن أن يصدَّ موسى، عُلم أنّ المراد نهي موسى عن ملابسة صدّ الكافر عن الإيمان بالساعة، أي: لا تكنْ ليّن الشكيمة لمن يصُدُّك ولا تُصغِ إليه، فيكون لينك مجرّئًا إيّاه على أن يصُدَّك، فوقع النهي عن المُسبَّبِ، والمراد: النهي عن المُتَبَبِ"[1].

وقال: "وزيادة قوله:﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾، للإيماء بالصلة إلى تعليل الصد، أي: لا داعي لهم للصد إلا اتباع الهوى دون دليل ولا شبهة"[2]. وقُدّم الجار والمجرور:﴿عَنْهَا﴾، لما في التقديم من الاهتمام بالمقدم والتشويق للمؤخر، ولأنّ في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم، والنهي هنا وإن كان ظاهره نهيًا للكافر عن صد موسى عن الساعة، لكنه في الحقيقة نهي له على أبلغ وجه وآكده[3].

الوضع الثاني، قوله: (فلا يخرجنكما)، في الآية السابعة عشرة بعد المئة، قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾، وهذا توجيه بالنهي خرج إلى معنى: التحذير، والناهي هنا هو الله عزّ وجلّ، والمنهي نبيه آدم– عليه السلام. ونلاحظ أن الخطاب أُسندَ فيه الإخراج لإبليس، مع أن الله هو وحده القادر على إخراجهما. وربما يكون ذلك عن طريق وسوسة إبليس، فيكون هو المسبب لذلك. وقبل التوجيه بالنهي في هذا الموضع، نجد توجيهًا آخر بالنداء من الله لآدم، حيث ناداه باسمه، ثم جاء بحرف التوكيد (إنَّ)، ثم عبر عن الشيطان بـ(هذا) للتحقير، ثم خصَّه بقوله: (لك)، ثم عطف، وقال: (ولزوجك)، وكل هذه مقدمات للنهي. قال ابن عاشور: "قوله: (فلا يخرجنكما)، تفريع عن الإخبار بعداوة إبليس له ولزوجته: بأن نُهيا نهي تحذير

---

[1] ابن عاشور: مرجع سابق، ج:16، ص203.

[2] نفسه، ج:16، ص203.

[3] انظر: الألوسي: مرجع سابق، ج:16، ص173.

عن أن يتسبب في خروجهما من الجنة، ووقع النهي في صورة نهي عن عمل هو من أعمال الشيطان، لا من أعمال آدم، كناية عن نهي آدم عن التأثر بوسائل إخراجهما من الجنة، كما يقال: لا أعرفنَّك تفعل كذا، كناية عن: لا تفعل، أي: لا تفعل كذا حتى أعرفه منك. وليس المراد النهي عن أن يبلغ إلى المتكلم خبر فعل المخاطب"[1]. وخصَّ آدم دون زوجه في الشقاء، لأنهما متلازمان، وشقاء أحدهما يعني شقاء الآخر، مع الإيماء بأن شقاء الرجل أصل شقاء المرأة[2]. وقيل: لما كان هو الكادَّ عليها، والكاسب لها، كان بالشقاء أخص[3]. وأخيرًا، فقد اجتمع في هذا الموضع توجيهان، توجيه بالنداء، ثم النهي، وعليه، فالتوجيه مركبًا.

الموضع الأخير، قوله: (لا تَمُدَّنَّ)، في الآية الواحدة والثلاثين بعد المئة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾. وهذا فعل توجيهي بالنهي جاء على حقيقته. إذ هو صادر من الله مخاطبًا نبيه محمدًا- صلى الله عليه وسلم- وهو توجيه إنجازي تحققت له شروط نجاحه. ونلاحظ أن النهي هنا جاء معطوفًا على الأمر بالصبر، والأمر بالتسبيح في الآية السابقة لهذه الآية، والمعنى: لا تمدَّنَّ بصرك يا محمد إلى هؤلاء الكفار وإلى ما متعناهم فيه، ولا تتعجب منه. فهو كالزهرة التي لا بقاء لها ولا دوام[4]. والخطاب هنا لمحمد- صلى الله عليه وسلم- ويجوز أن يكون المراد أمته[5]. وقد عبَّر الله بالمدِّ بدلاً من النظر؛ لأن المدَّ يقتضي الدوام والاستحسان[6]. وقال: اعلم يا محمد أن هذه النعم ما هي إلا فتنة لهم، واعلم أيضًا، بأن ما عند ربك أفضل وأدوم.

---

[1] ابن عاشور: مرجع سابق، ج:16، ص321.

[2] نفسه، الصفحة نفسها

[3] انظر: القرطبي، ج: 11، ص 253.

[4] نفسه، الصفحة نفسها.

[5] انظر: الألوسي، مرجع سابق، ج: 16، ص 283.

[6] انظر: أبو حيان، مرجع سابق، ج:6، ص 269.

هذه هي المواضع الثلاثة التي جاء فيها الفعل المضارع المجزوم بـ" لا" الناهية، مؤكّدًا بالنون الثقيلة، التي نقلت دلالته من الحال والاستقبال إلى الاستقبال حسب.

وبهذا الموضع ينتهي المبحث الثاني، وهو الاستراتيجيّة التوجيهيّة في النهي، وقد ورد أسلوب النهي في السورة الكريمة في اثنا عشر موضعًا، تسعة منها، جاء فيها الفعل غير مقترنٍ بنون التوكيد، وثلاثة جاء الفعل فيها مؤكدًا بنون التوكيد الثقيلة.

المبحث الثالث: الاستراتيجية التوجيهية في الاستفهام

يُعد تركيب الاستفهام من الأساليب المستخدمة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة؛ لأنه يُوجه المخاطَب إلى خيار واحد، وهو ضرورة الإجابة عن هذا المطلوب، ومن ثم، فإن المرسل، من خلال هذا التركيب، يستطيع السيطرة على مجريات الأحداث، بل والسيطرة على ذهن المخاطَب، وتسيير خطابه تجاه ما يريده هو، لا ما يريده الآخرون[1].

المطلب الأول: مفهوم الاستفهام

الاستفهام، هو: طلبُ الفَهْمِ. أي: طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا لدى السائل؛ بأحد أدوات الاستفهام[2].

وقد اخْتُلف في تسمية هذا التركيب، قديمًا وحديثًا، قال عبدالرحيم الهبيل: "تعددت المصطلحات التي تدل على الاستفهام، ففي التراث آثر بعضهم الاستخبار، وأغلبهم فضّل الاستفهام. وفي العصر الحديث حاول مصطلح السؤال أن يحقق حضورًا، لكن تداخل هذه المصطلحات في الممارسات التحليلية، وتقاربها في الدلالة المعجمية التي تدور حول معاني الفهم، والتعقل، والمعرفة، جعل الغلبة للاستفهام، لقدم المصطلح وانتشاره في الدراسات النحوية، كما أن طبيعة الاستفهام الذي لا يفارق الطلب في كل أحواله، وقدرته على التشكل بأشكال مختلفة، ودلالات متعددة، عَمِلت على تسويغ المصطلح وانتشاره، خاصة بعد جهود عبد القاهر الجرجاني، حيث ظلت كتب البلاغيين المتأخرين تدور في فلك مبحثه للاستفهام، على الرغم من أنها لم تكن خاصة للاستفهام، وإنما لبيان أثر التقديم والتأخير في اختلاف المعاني وتنوعها"[3].

---

[1] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص 352.

[2] انظر: هارون، مرجع سابق، ص 18.

[3] الهبيل، عبد الرحيم محمد. الاستفهام في البلاغة العربية، مجلة البحوث التربوية الفلسطينية، العدد التاسع عشر، يونيو 2012، ص 17.

وبمقارنة الاستفهام بغيره من أساليب الطلب، نجد أن الاستفهام يختلف عن بقية أنواع الطلب، وذلك كونه طلبًا لحصول شيء في الذهن، قال السكاكي:" والفرق بين الطلب في الاستفهام وبين الطلب في الأمر والنهي والنداء، واضح. فإنك في الاستفهام تطلب ما هو خارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق، وفيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب أن يحصل له في الخارج مطابق"[1]. فالاستفهام عنده، قد يصدر من شاكٍ، أو جاهِل شيء ما، يطلب حضوره في ذهنه، موجه نحو المستقبل، وقُيّد ذلك بأن يكون غير حاصل وقت طلبه، وأن يكون حصول الإجابة ممكنًا، ولو بنظر المرسل، وأن يريد هذا المرسل معرفة شيء يهمهُ ويعنيه أمره. أما إذا كان خلافًا لذلك، فإن الاستفهام يخرج عن معناه، إلى أغراضٍ تواصليةٍ أخرى تفهم من السياق[2].

أما الاستفهام من خلال الدراسات التداولية الحديثة، فيُعرّف بأنه: فعل كلامي إنجازي مباشر، إذا ورد بحسب أصله، من طَلَبِ حصول شيءٍ في الذّهنِ لغيرِ حاصلٍ، مُمكِن الحصول، ويصنّفُ حسب نظرية الأفعال الكلامية ضمن التوجيهات. ولكي يأتي على حقيقته لا بد من توافر شروط محددة، يمكن إجمالها في ما يأتي:

1. الزمان: بمعنى أن يكون في المستقبل.

2. الإمكان: بمعنى أن يكون باستطاعة المسؤول الإجابة عنه.

3. الإرادة: بمعنى أن يكون المستفهم أراد حقيقة الاستفهام، وهذا الأمر يعنيه[3].

وحين يختل أحد هذه الشروط، فإن الاستفهام يخرج إلى دلالات مختلفة بحسب السياق والموقف، كأن يخرج إلى التقرير والإنكار، وغيرها.

---

[1] السكاكي، مرجع سابق، ص 304.

[2] انظر: لهويمل، مرجع سابق، ص 149.

[3] نفسه، الصفحة نفسها.

والاستفهام في الاستراتيجيّة التوجيهيّة قد يتعدى ظاهر النص، إذ الغرض من التوجيه هو القيام بعمل شيء معين، يُطلب عن طريق هذا الأسلوب، فنحن عندما نقول:

- هل تستطيع أن تزورني؟

نريد من خلال هذا الأسلوب، القيام بالزيارة فعلاً، وليس المراد إمكانية الزيارة، بنعم أو لا. وعليه، فإن الغرض الأساسي من الأسئلة تتراوح من سؤال إلى آخر، بداية بتلك التي تبحثُ عن معلومة حقيقية من المرسل إليه، وانتهاءً بتلك الأسئلة التي توصل معلومات من المرسل إلى المرسل إليه[1].

ومن جانب آخر، فإن التوجيه في الأسئلة يتدرج، فيكون أحكم في الأسئلة المغلقة؛ لأنها توجه لضرورة الإجابة أولاً، وإلى المحتوى آخرًا، كالسؤال التالي:

- هل توافق على الجدول الدراسي؟

وهنا، لا بد للمرسل إليه من الإجابة؛ لأن المرسل لم يترك له حرية اختيار الجواب، فالجواب محصور بين خيارين، هما: نعم، أو لا. أما السؤال المفتوح، فهو أقل توجيهًا، إذ إنَّ المرسل يعطي المرسل إليه مساحة واسعة للإجابة. وهذا، هو ما دعت إليه: (روبين لاكوف)، عند صياغتها لقاعدة التأدب، التي فرّعت منها، قاعدة التخيير، وذلك بجعل خيارات المرسل إليه مفتوحة، وعدم تقييده[2].

هذا، وقد يحصل التوجيه أيضًا من خلال الأسئلة التي تبحث عن أجوبة فقط، ولا تُلزم المرسل إليه بعمل شيء معين. كتلك الأسئلة التي يوجهها المرسل إلى المرسل إليه أثناء حواراتهما

---

[1] انظر: الشهري، مرجع سابق، ص 352

[2] نفسه، ص 354.

اليومية، وسؤاله عن صحته وحاله. بصرف النظر عمّا تضيفه هذه الأسئلة من أبعاد تداولية أخرى، كالتودد والتضامن، إلا أنها تُعدُّ توجيهية؛ لأنها هي المحفز للمرسل إليه لكي يتلفظ بجوابه[1].

المطلب الثاني: أدوات الاستفهام

يتحقق الاستفهام باستخدام مجموعة من الأدوات، وهي: "الهمزة"، و"هل"، و"مَنْ"، و"ما"، و"متى"، و"أين"، و"أيّان"، و"أنّى"، و"كيف"، و"كم"، و"أي". ويمكن تقسيمها بحسب ما يُطلب بها إلى ثلاثة أقسام:

1. قسم يُطلب به التصديق والتصوير معاً، وهو: "الهمزة".

2. قسم يُطلب به التصديق فقط، وهو: "هل".

3. قسم يُطلب به التصوير فقط، وهو: باقي الأدوات[2].

وبجانب أدوات الاستفهام الصريحة، نجد أن هناك بعض الألفاظ المعجمية التي تدل على الاستخبار بصيغة الأمر، مثل: أخبرني، أعلمني. وكذلك التنغيم أيضًا، يمكن أن يدل على الاستفهام في بعض الألفاظ، وذلك عند نطقها بطريقة معينة[3].

كما أن التنغيم قد ينقل دلالة الاستفهام إلى معنى مغاير، فإن "حركية المعنى تتأثر بجهود المتلقين على تراخي الزمن وتقدمه، مثلما تتأثر بثقافة المتلقي الواحد، وكثرة ما يورده من معانٍ يحتملها التركيب أو النص، كما أن المعاني قد تتوالد وتتمايز بالتنغيم أيضًا، وبما يكون من مواقف، بل إن لغة الجسد، وتوالي القراءات عبر العصور، قد تحاكي السياق اللغوي في توفير فضاءٍ تتآلف فيه الأضداد، فقول جرير، مثلاً:

---

(1) انظر: الشهري، مرجع سابق، ص 355.

(2) انظر: السكاكي، مرجع سابق، ص 308، وما بعدها. وانظر: هارون، مرجع سابق، ص 18، وما بعدها.

(3) انظر: الشهري، مرجع سابق، ص 354.

ألستم خير من ركب المطايا وأندى للعالمين بطون راح؟

قيل إنّ الاستفهام هنا للتقرير، لكن كيف لو ألقى أحد أعداء الخليفة هذا البيت الشعري بنبرة تُشير إلى الإنكار؟ أو بقسمات توحي بالسخرية، أو حركات تشي بالذم، لظنهم أن جريرًا مدح بني أمية بما ليس فيهم، وكيف لو عرف العرب رجلاً بخيلاً أو جبانًا من بني أمية وأعادوا إنشاد هذا البيت؟ ألا يكون هجاءً مقذعًا؟»[1].

ولتركيب الاستفهام أثر واضح على سير العملية التخاطبية، لا يكون لتركيب آخر، تقول فوز نزّال عند حديثها عن السؤال في الحوارات القرآنية:" لا تخفى الطاقة الإثارية والتأثيرية التي يفجرها السؤال، فهو وعاء لغوي تفرغ فيه الأطراف المتحاورة مشاعرها وانفعالاتها، مبرزًا حضوره الأكبر في إنتاج دلالات النص وتقديم حيثيات المضامين الحوارية»[2].

ولعل الاستفهام قد هيمن على باقي التراكيب، كالأمر والنهي والتمني، حيث إنه من الممكن أن يأتي الاستفهام في صورة التراكيب السابقة، بينما لا يمكن أن يحدث العكس.

وعن سبب اختيار الاستفهام من بين التراكيب الأخرى، تطرح فوز نزّال تساؤلها قائلة: "ولنا أن نتساءل عن علّة اختيار السؤال من بين التراكيب اللغوية الأخرى، ليكون القالب الذي تتقولب فيه معظم الدلالات التعبيرية؟! لقد التفت عدد من الدارسين، قديمًا وحديثًا، إلى ميزة جوهرية من ميزات السؤال يمكن أن تعد إحدى علل ذلك الاختيار، تتمثل في البعد النفسي المكتنز في السؤال، والمتشكل في مستويين: مستوى المرسل، ودلالة اختيار السؤال من بين البنى التركيبية الأخرى، ومستوى المتلقي، ومدى فاعلية السؤال دون ما عداه من هذه البدائل. وهذا يعني التجاء أحد أطراف

---

(1) انظر: الهبيل، مرجع سابق، ص 30.

(2) نزال، مرجع سابق، ص 95، نلاحظ هنا، أن فوز نزّال مع مَنْ يسمّي هذا الأسلوب بالسؤال، لا الاستفهام، وهي متأثرة برأي أبي هلال العسكري، وقد ردّ عبد الرحيم الهبيل على ذلك، وللاستزادة، انظر: الهبيل، الاستفهام في البلاغة العربية، مرجع سابق، ص 18 وما بعدها.

الحوار إلى السؤال لتفريغ شحنته الانفعالية، أو لإنتاج شحنات انفعالية في نفس المتلقي ليس مجرد صدفة عشوائية، حتى وإن تغيب الوعي الكامل في عملية الاختيار، فالسؤال يكتنز بوسائل تأثيرية تجسم انفعالات السائل أو توتراته وتمارس فاعليتها في المخاطب، لا لكونه سؤالاً عن شيء بعينه، أو دالاً عن غرض معين، ولكن لكونه سؤالاً فحسب، فالسؤال يتفاعل مع نفس المخاطب قاطعًا رتابة تلقيه للتراكيب الجاهزة، ومثيرًا دهشته، لتنشأ أقصى درجات التواصل بين أطراف المشهد الحواري"[1].

وفي نفس الجانب، تحدّث الجرجاني عن أثر تركيب الاستفهام ودلالة على الإنكار، قال: "واعلم أنّا وإن كنا نُفسر الاستفهام في مثل هذا الإنكار فإن الذي هو محض المعنى: أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعيا بالجواب، إما لأنه قد ادّعى القدرة على فعل لا يقدر عليه، فإذا ثَبتَ على دعواه قيل له: "فافعل"، فيفضحه ذلك، وإما لأنه همّ بأن يفعل ما لا يستصوب فعله، فإذا رجع تنبه وعرف الخطأ، وإما لأنه جوّزَ وجود أمر لا يوجد مثله، فإذا ثبت على تجويزه وُبِّخَ على تَعَنُّتِهِ، وقيل له: فأرِنَاه في موضعٍ وفي حالٍ، وأقمْ شاهدًا على أنه كان في وقت"[2].

ومن جانب آخر في تأثير تركيب الاستفهام، فإن لكل سؤال خصوصية، تميزه عن غيره، منتجًا مجموعة من الدلالات المختلفة، والتي لا بد للوقوف على جميع أبعاد الموقف التخاطبي لكي يتم التوصل لها، وقد تنبه الجرجاني لهذا، وذلك عندما علّق على حكاية قوم إبراهيم- عليه السلام- عندما قالوا: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾[3]، قال:" واعلم أن الهمزة فيما ذكرنا، تقرير

---

[1] نزال، مرجع سابق، ص 96.

[2] الجرجاني، عبدالقادر. دلائل الإعجاز. تحقيق: محمد الداية و فايز الداية، دار الفكر، دمشق، 2007، ص 151.

[3] الأنبياء: 62.

بفعل قد كان، وإنكار له لمَ كان، وتوبيخ لفاعله عليه"[1]. وزاد على هذه الدلالات، عيد بلبع بدلالتين: دلالة التحقير، وهي عند عدم تصريحهم بالفعل نفسه، إذ قالوا: (هذا)، ودلالة التهديد، فهم بسؤالهم هذا، يريدون منه أن يقرّ بذلك، لكي يوقعوا به أشد عقوبة[2].

المطلب الثالث: مواضع الاستفهام في سورة طه

عند تحليل سورة طه، تبين أنّ أسلوب الاستفهام ورد كغيره من الأساليب اللغوية المستخدمة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة، وقد ورد هذا الأسلوب في ثمانية عشر موضعًا، موزعة على آيات السورة الكريمة في عدّة أدوات، كان للهمزة النصيب الأكبر، إذ وردت في ثمانية مواضع، تلتها "ما" في ستة مواضع، ثم"هل" في ثلاثة مواضع، وأخيرًا "مَنْ" في موضع واحد. أما باقي الأدوات فلم ترد في هذه السورة الكريمة. وإلى تبيان هذه المواضع في المسائل الآتية:

المسألة الأولى: الاستفهام بالهمزة

الهمزة من حروف الاستفهام، وهي لطلب التصور والتصديق معًا. فمن دلالاتها على التصديق، قولنا: أحصل الانطلاق؟ وأزيد منطلق؟ والهمزة هنا، أفادت فعلاً كلاميًا إنجازيًا غرضه الاستفهام عن الانطلاق بصورة عامة في المثال الأول، وعن انطلاق زيد في المثال الآخر[3]. وتكون الإجابة عن هذين السؤالين، إما بـ"نَعَمْ" إثباتًا، وإمّا بـ"لا" نفيًا. وبجانب التصديق، فالهمزة قد تفيد التصور أيضًا، فقولنا: أدبس في الإناء أم عسل؟ سؤال عن تعيين أيهما فيه[4]. وعليه، تكون الهمزة أيضًا، أفادت فعلاً كلاميًا غرضه التعيين.

---

[1] الجرجاني، مرجع سابق، ص 114.

[2] انظر: بلبع، عيد. نقض البلاغة- أسلوبية السؤال، دار الوفاء، الاسكندرية، 1999، ص63، نقلاً عن: نزال، مرجع سابق، ص 98.

[3] انظر: لهويمل، مرجع سابق، ص 150.

[4] انظر: السكاكي، مرجع سابق، ص 308.

المواضع الواردة في سورة طه بالهمزة:

الموضع الأول، قوله:(أجئتنا)، في الآية السابعة والخمسين، قال تعالى:﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي خرج إلى دلالة الإنكار، إذ هو صادر من فرعون مخاطبًا موسى-عليه السلام- ومجيء الاستفهام الإنكاري هنا، يقتضي أن موسى قد أراهم بعض معجزاته، فقال فرعون ذلك القول الذي نقله عنه القرآن؛ منكراً عليه، ونجد فرعون هنا ذكر الأرض وما تعني من انتماء؛ لكي يؤثر على قومه بألا يتبعوا هذا الساحر[1]. وقوله:﴿بِسِحْرِكَ ﴾، تعلل وتحبير من فرعون، لأنه لا يخفى عليه أن السحرة لا يقدرون على ملكه، ولكن عرف فرعون أن موسى على حق[2]. ومما يدل على قوة إنكاره لموسى، قوله فيما ذكره القرآن عنه في الآية التي تليها:﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ﴾، فالقسم من أساليب إظهار الغضب، وكذلك الفعل المؤكد المتضمن الوعد[3]. وقد اجتمع في هذا الموضوع توجيهان، توجيه بالاستفهام وآخر بالنداء، وعليه يكون التوجيه هنا مركبًا.

الموضع الثاني، قوله: (ألم)، والموضع الثالث قوله: (أفطال)، والموضع الرابع، المقدّر بعد قوله: (أم أردتم)، وكلها في الآية السادسة والثمانين، قال تعالى:﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴾، نلاحظ أن المواضع الثلاثة كلها أفعال توجيهية إنجازية خرجت إلى دلالة الإنكار. وكلها صادرة من موسى- عليه السلام- مخاطباً بها قومه. وقد سُبقت بالتوجيه بالنداء المسبوق هو أيضاً، ببيان حالة موسى وغضبه، فجاء النداء تمهيدًا للوم والإنكار. ومعنى الاستفهام في قوله:

---

[1] انظر: الشوكاني، مرجع سابق، ج: 3، ص 370.

[2] انظر: الزمخشري، مرجع سابق، ج: 16، ص 659.

[3] ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 245.

(ألم)، أنهم نزلوا منزلة من زعم أن الله لم يعدهم وعدًا حسنًا، لأنهم أجروا أعمالهم على حال من يزعم ذلك، فنجده قد أنكر عليهم زعمهم. أما قوله: (أفطال)، أي: ليس العهد بوعد الله إياكم بعيدًا؛ لكي تعبدوا غيره[1]. أما قوله: (أم أردتم)، قال ابن عاشور: "و(أم) إضراب إبطالي. والاستفهام المقدّر بعد أم في قوله: ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إنكاري أيضًا، إذ التقدير: بل أردتم أن يحِلَّ عليكم غضب، فلا يكون كفركم إذن إلا إلقاءً بأنفسكم في غضب الله كحال من يحب أن يحِل عليه غضب من الله"[2].

تقول فوز نزّال معلّقة على هذا الموضع: "تشكّل السؤال سمة مهيمنة لها وضعية خاصة في الخطاب الذي وجهه موسى– عليه السلام– إلى قومه وأخيه مجسمًا صدمة المرسِل بالواقع وتوتره وغضبه، الذي وصل به إلى حد الانهيار، وهذا يثبت خصوصية السؤال وتفوقه على باقي التراكيب الأخرى في استيعاب الشحنات الانفعالية الوجدانية، التي تموج في نفس المتكلم، وإيصال نبضها وحرقتها إلى المتلقي وتطويقه بها"[3].

الموضع الخامس، قوله: (أفلا)، في الآية التاسعة والثمانين، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي خرج أيضًا، إلى دلالة الإنكار والتوبيخ، إذ هو صادر من الله مخاطبًا هؤلاء القوم. ومعنى هذه الآية: أن هؤلاء القوم نُزّلوا منزلة من لا يرى العجل لعدم جريهم على موجب البصر، فأُنكر عليهم عدم رؤيتهم ذلك مع ظهوره، أي: كيف يدعون الإلهية للعجل، وهم يرون أنه لا يتكلم ولا يستطيع أن ينفعهم أو يضرهم[4].

---

[1] ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 282.

[2] نفسه، ص 283.

[3] نزال، مرجع سابق، ص 107.

[4] انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 289.

والرؤية هنا، بصرية مكنى بها، أو مستعملة في مطلق الإدراك، فآلت إلى معنى الاعتقاد والعلم. وقُدّم الضرّ على النفع قطعًا لعذرهم في اعتقاد إلهيته، لأن الخائف من الضر أقوى من الراغب في النفع[1].

الموضع السادس، قوله(أفعصيت)، في الآية الثالثة والتسعين، قال تعالى:﴿ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾. وهذا فعل توجيهي إنجازي خرج أيضًا، إلى دلالة الإنكار، وهو صادر من موسى مخاطباً هارون- عليهما السلام- وقد جاء الاستفهام الإنكاري هنا معطوفًا على الاستفهام الإنكاري قبله، وهو قوله:﴿ مَا مَنَعَكَ ﴾. ومعنى هذه الآية: أن موسى- عليه السلام- قال لهارون كيف خالفت أمري لك بالقيام لله، ومحاربة من يحارب الدين، وأقمت بين هؤلاء وتركتني. ولعلنا نلاحظ أن الاستفهام في هذا الموضع يرتبط بدلالة التهديد من موسى لهارون، والدليل على ذلك، أن هارون في الآية التي تلي هذه الآية نادى موسى مستعطفاً وممترقًا، قال:﴿ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ﴾ الآية.

الموضع السابع، قوله:(أفلم)، في الآية الثامنة والعشرين بعد المئة، قال تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍۗ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾. وهذا فعل توجيهي إنجازي خرج أيضًا إلى دلالة الإنكار والتعجب، وهو صادر من الله مخاطبًا المشركين في زمن الرسول- صلى الله عليه وسلم- ومعنى هذه الآية: ألم يتبيّنْ لهم خبر مَنْ أهلكنا قبلهم من الأمم السابقة، يمشون في مساكنهم إذا خرجوا للتجارة وطلب المعيشة، فيرون ما حلّ بهم؟ ألا يخافون أن يحل بهم

([1]) انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 289.

مثل ما حلَّ بهؤلاء؟[1]، وعبَّر الله بالهداية، وهي مستعارة للإرشاد إلى الأمور العقلية؛ بتنزيل العقلي منزلة الحسي، فيؤول معناها إلى التبيين، أي: ألم يتبين لهم؟[2].

الموضع الأخير، قوله:(أولم)، في الآية الثالثة والثلاثين بعد المئة، قال تعالى:﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾. وهذا فعل توجيهي إنجازي خرج أيضًا إلى دلالة الإنكار والتعجب، وهو صادر من الله مخاطبًا كفار قريش. وقد سبق التوجيه بالاستفهام، توجيه بالتحضيض، وهو قولهم:﴿ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾، فجاء الاستفهام ليردَّ عليهم، أي: ألم يأتهم خبر نبوة محمد– صلى الله عليه وسلم– في الكتب السماوية السابقة؟ والبيّنة هنا: هي محمد وكتابه القرآن، لأن الرسول موعود به في الكتب السماوية. و"وجه اختيار الصحف على الكتب، أن في كلّ صحيفة من الكتب علماً، وأن جميعه قد حواه القرآن، فكان كل جزء من القرآن آية ودليلاً"[3].

وبهذا الموضع، تنتهي هذه المسالة، وهي الاستفهام بالهمزة، وقد وردت هذه الهمزة في المواضع كلها خارجة إلى دلالة الإنكار، وإن امتزج بالإنكار بعض الدلالات كالتوبيخ والتعجب.

المسألة الثانية: الاستفهام بـ"هل"

"هل" هو الحرف الثاني من حروف الاستفهام، ولا يُطلب به إلا التصديق. كقولك: هل حصل الانطلاق؟ وهل زيد منطلق؟[4]، واستعمال"هل" مع الفعل لفظًا أو تقريرًا أرجح، إذ لا يأتي بعد"هل" جملة اسمية إلا لغرض بلاغي، كجعل ما يحصل كأنه حاصل بالفعل[5]. وتُعدُّ الأداة "هل"

---

(1) انظر: القرطبي، مرجع سابق، ج: 11، ص 260.

(2) انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 334.

(3) نفسه، ج: 16، ص 354.

(4) انظر: السكاكي، مرجع سابق، ص 308.

(5) انظر: هارون، مرجع سابق، ص 20.

فعلاً كلاميًا غرضه الاستفهام لطلب التصديق. وقد وردت هذه الأداة في سورة طه في ثلاثة مواضع، وهي:

الموضع الأول، في الآية التاسعة، قال تعالى:﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾. وهذا فعل توجيهي إنجازي خرج إلى معنى التشويق، إذ القائل هو الله مخاطبًا محمدًا- صلى الله عليه وسلم- وجملة الاستفهام هذه جاءت معطوفة على قوله:﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾، فالله سبحانه سيذكر لنبيه محمدًا ما حصل لأخيه موسى من متاعب ومشاكل في الدعوة، فجاء بهذا الأسلوب. قال ابن عاشور:" والاستفهام مستعمل في التشويق إلى الخبر مجازًا، وليس مستعملاً في حقيقته سواء كانت هذه قصة قد قُصّت عليه من قبل، أم كان هذا أول قصصها عليه. وأوثر حرف "هل" في المقام لما فيه من معنى التحقيق؛ لأن "هل" في الاستفهام مثل: " قد" في الإخبار"[1]. وقال الرازي: "وهذه الصيغة أبلغ في ذلك، كما يقول المرء لصاحبه: هل بلغك خبر كذا؟ فيتطلع السامع إلى معرفة ما يرمي إليه"[2].

الموضع الثاني، في الآية الأربعين، قال تعالى:﴿ إِذْ تَمْشِىٰٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي خرج إلى معنى العرض. وهو صادر من أخت موسى- عليه السلام- مخاطبة فرعون وزوجته. وهذه الآية في سياق نعم الله التي تفضّل بها على موسى، حيث جعله لا يقبل المراضع؛ لكي يعود إلى حضن أمه. قال صاحب الظلال:" وكان ذلك من تدبير الله، إذ جعل الطفل لا يقبل ثدي المرضعات، وفرعون وزوجته وقد تبنيا الطفل الذي ألقاه اليم بالساحل- مما لا يفصله السياق كما يفصله في موضع آخر- يبحثان له عن مرضع،

---

[1] ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 143.

[2] الرازي، مرجع سابق ج: 22، ص 15.

فيتسامع الناس، وتروح أخته بإيحاء من أمها تقول لهم: هل أدلكم على من يكفله؟ وتجئ لهم بأمه فيلقم ثديها.."[1].

الموضع الأخير، في الآية العشرين بعد المئة، قال تعالى:﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي خرج أيضًا إلى معنى العرض، وهذا التوجيه صادر من الشيطان مخاطبًا آدم- عليه السلام- وقد سُبق الاستفهام بالتوجيه بالنداء، وما لهذا الأخير من تخصيص وإقبال. ومعنى هذه الآية: أن الشيطان وسوس لآدم وناداه باسمه؛ ليكون أقبل وأمكن في الاستماع، ثم عرض عليه عرضًا عن طريق الاستفهام، الذي يُشعر بالنصح، ويؤثر قبول من يخاطبه[2]. وعن كيفيّة الوسوسة، قال ابن عاشور: "وهذا القول خاطر ألقاه الشيطان في نفس آدم بطريقة الوسوسة، وهي الكلام الخفيّ، إما بألفاظ نطق بها الشيطان سرًا لآدم لئلا يطّلع عليه الملائكة فيحذروه، فيكون إطلاق الكلام على حقيقته، وإما بمجرد توجيه إرادة الشيطان كما يوسوس للناس في الدنيا، فيكون إطلاق القول عليه مجازًا باعتبار المشابهة"[3]. وقد وجه الشيطان آدم وعرض عليه هدايته بأمرين: الخلود، والمُلك الذي لا يبلى، وفعلاً حصل الشيطان على ما يريد، وأكل آدم من هذه الشجرة. وهذه القصة القصيرة في هذه الآية من وسوسة الشيطان لآدم وأكله، دلّت على استقرار محبة الحياة في جبلّة البشر[4].

وبهذا الموضع، تنتهي المسألة الثانية، وهي الاستفهام بالحرف "هل". وقد ورد في ثلاثة مواضع، خرج الاستفهام في الأول إلى معنى التشويق، وخرج في الموضعين الآخرين إلى معنى العرض.

---

(1) قطب، مرجع سابق، م: 4، ص2335.

(2) انظر: أبو حيان، مرجع سابق، ج: 6، ص 264.

(3) ابن عاشور، مرجع سابق، ج :16، ص 325 .

(4) نفسه، ص 326 .

المسألة الثالثة: الاستفهام بالاسم: "ما"

تُعدُّ "ما" من أسماء الاستفهام، وهي من ضمن الأسماء التي يُطلب بها التصور فقط. قال السكاكي: " أمَّا (ما): فللسؤال عن الجنس، تقول: ما عندك؟ بمعنى: أيُّ الأجناس عندك؟ وجوابه: إنسان، أو فرس، أو كتاب، أو طعام. أو للسؤال عن الوصف، تقول: ما زيد؟ وما عمرو؟ وجوابه: الكريم، أو الفاضل، وما مشاكل ذلك"[1]. والأداة "ما" تنجز فعلاً كلاميًا توجيهيًا غرضه الاستفهام عن الجنس أو الوصف. أما المواضع الواردة في السورة الكريمة، فهي كالآتي:

الموضع الأول، في الآية السابعة عشرة، قال تعالى:﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي خرج إلى دلالة التقرير للتنبيه، وهذا الفعل صادر من الله مخاطبًا موسى – عليه السلام– والغرض من السؤال: أن الله سأل موسى – وهو العالم؛ ليريه ما سيفعل بهذه العصا، وجعلها آية عظيمة وسلاحًا له. ونلاحظ أن المفسرين توقفوا عند هذه الآية كثيرًا، وتناولوا جوانب متعددة، ولعل ما يهمنا في هذا المقام، السؤال وجواب موسى عن هذا السؤال. قال الرازي: " قوله: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ ﴾، لفظتان، فقوله:(وما تلك) إشارة للعصا. وقوله: (بيمينك) إشارة لليد ..."[2]، فالله عزّ وجلّ عندما أشار إليهما، كان الغرض لجعل كل منهما آية عظيمة. وعن طريقة السؤال، قال: " قوله:(وما تلك بيمينك) سؤال، والسؤال إنما يكون لطلب العلم وهو على الله محال، فما الفائدة فيه؟ والجواب: أن مَنْ أراد أن يظهر من الشيء الحقير شيئًا شريفًا فإنه يأخذه ويعرضه على الحاضرين، ويقول لهم: هذا ما هو؟ فيقولون هذا هو الشيء الفلاني[يقررونه] ثم إنه بعد إظهار صفته الفائقة فيه يقول لهم: خذا منه كذا وكذا"[3]. أما طريقة جواب موسى عن السؤال، وعند ذكره ما يُستفاد من هذه العصا في حدود علمه، فاختلف في سبب ذلك؛ فالأغلب منهم، يرى أن ذلك من

---

(1) السكاكي، مرجع سابق، ص 310 .

(2) الرازي، مرجع سابق، ج: 22، ص 24.

(3) نفسه، ص 25.

محبة إطالة الحديث مع الله من طرف موسى. إلا أن ابن عاشور له رأي خاص، يقول: "ظاهر السؤال أنه سؤال عن شيء أُشير إليه، ونُبيت الإشارة بالظرف المستقر، وهو قوله: (بيمينك)، ووقع الظرف حالاً من اسم الإشارة، أي ما تلك حال كونها بيدك؟ ففي هذا إيماء إلى أن السؤال عن أمر غريب في شأنها، ولذلك أجاب موسى عن هذا الاستفهام ببيان ماهية المسؤول جريًا على الظاهر، وبيان بعض منافعها استقصاءً لمراد السائل أن يكون قد سأل عن وجه اتخاذه العصا بيده، لأن شأن الواضحات أن لا يُسأل عنها إلا والسائل يريد أمرًا غير ظاهر... فابتدأ موسى ببيان الماهية بأسلوب يؤذن بانكشاف حقيقة المسؤول عنه، وتوقع أن السؤال عنه توسل لتطلب بيان وراءه، فقال: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾، بذكر المسند إليه، مع أن غالب الاستعمال حذفه في مقام السؤال للاستغناء عن ذكره في الجواب بوقوعه مسؤولاً عنه، فكان الإيجاز أن يقول: عصاي، فلما قال: (هي عصاي)، كان الأسلوب أسلوب كلام من يتعجب من الاحتياج إلى الإخبار؛ لذلك أعقب موسى جوابه ببيان الغرض من اتخاذها لعلّه أن يكون قصد السائل، فقال: ﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾، ففصّل ثم أجمل؛ لينظر مقدار اقتناع السائل حتى إذا استزاده بياناً زاده"[1]. أخيرًا، نجد أن هذا الموضع اقترن فيه الاستفهام بالنداء، فكان التوجيه مركبًا، فالله تعالى عندما سأل موسى، كان الغرض تسليحه، وتنبيهه لهذه العصا، وطمأنته، ثم ناداه؛ وذلك لزيادة طمأنينته وتشريفه.

الموضع الثاني، في الآية الواحدة والخمسين، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي خرج إلى معنى التعجيز والمشاغبة والمراوغة، وهذا التوجيه صادر من فرعون مخاطبًا موسى- عليه السلام- والتوجيه بالاستفهام، معطوف على جواب موسى-عليه السلام-

---

[1] ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 206.

قبله، وذلك عندما أجاب عن سؤال فرعون حينما قال:﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴾، فجواب موسى كان ملجمًا لفرعون، فخشي فرعون من أن القوم قد يقتنعون بكلام موسى وجوابه، فاستخدم هذه الاستراتيجيّة، عن طريق الاستفهام؛ لعل هذا يشتت موسى ويضيعه عن الهدف الذي جاء من أجله، ولكن موسى أجاب مجددًا بجملة من الأجوبة، وأعرض عن سؤاله، عندها التجأ فرعون مرة أخرى وهو خائف إلى استخدام الاستفهام، والإقرار بأنّه ساحر يريد إخراج الناس من أرضهم عندما قال:(أجئتنا)، وقد مرّ بنا هذا الموضع[1] فلا حاجة إلى إعادته. وأخيرًا، لعلنا نلاحظ قوة تركيب الاستفهام وتأثيرهُ على طرفي الخطاب، وهو ما حاول فرعون الاستفادة منه، ولكن من دون جدوى بكل تأكيد.

الموضع الثالث، في الآية الثالثة والثمانين، قال تعالى:﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي خرج عن حقيقته إلى معنى، أفضل ما يقال عنه إنه عتاب. وهذا التوجيه صادر من الله مخاطبًا موسى- عليه السلام- ومعنى هذه الآية: أن الله سأل موسى عن سبب استعجاله وترك قومه خلفه، وعند النظر في أقوال المفسرين، نجد أقوالاً كثيرة، فمنهم من جعل الاستفهام للإنكار، وزاد بعضهم بأن الإنكار خاص بالفعل نفسه، وما إلى ذلك من أقوال[2]. أما طريقة إجابة موسى، إذ قال: ها هم خلفي واستعجلت طلبًا لرضاك، وكان المفترض أن يصرح بالجواب مباشرة، فللمفسرين فيها أيضًا أقوال، نذكر منها: إن ذلك بسبب ارتباك موسى عندما سُئل عن القوم[3].

أما الباحث فيرى أن موسى عَلِم أن الله سبحانه سيخبره بحال القوم من بعده، فقدّم القوم في جوابه وأخّر سبب استعجاله، والله تعالى أعلم.

---

[1] انظر: ص (100) من الرسالة.

[2] انظر: الرازي، مرجع سابق، ج: 22، ص 98. وانظر: الألوسي، مرجع سابق، ج: 16، ص 241.

[3] انظر: الرازي، مرجع سابق، ج:22، ص 99.

وقد اقترن الاستفهام بالتوجيه من الله لموسى بالنداء؛ لتخصيصه وتنبيهه، وعليه يكون التوجيه في هذا الموضع توجيهًا مركبًا.

الموضع الرابع، في الآية الثانية والتسعين، قال تعالى:﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي خرج إلى دلالة الإنكار. والتوجيه هنا، صادر من موسى مخاطبًا هارون-عليهما السلام- ومعنى هذه الآية: أن موسى-عليه السلام- عندما عاد إلى قومه وقد أضلّهم السامريّ، عاد وهو غضبان، فتوجّه إلى قومه بمجموعة من الأسئلة، وعندما فرغ منهم، توجّه إلى أخيه موجهًا هذا السؤال، وبدون إعطائه فرصةً للإجابة، ثمّ توجه بالسؤال مجددًا بالآية التي تلي هذه الآية عندما قال:﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾، فموسى- عليه السلام- حاول عن طريق تركيب الاستفهام أن يفرّغ غضبه؛ فوجّه هذه الأسئلة التي قد تحمل معها دلالات أخرى غير الإنكار كالتهديد، وغيره. تقول فوز نزّال: " إنه لا يأبه بإجابة المتلقي، بل لا يريدها؛ لأنها مرفوضة مستنكرة، ولذلك نجده- عليه السلام- يجيب عن المتلقي المسؤول موجهًا له الخطاب مرة أخرى في قالب السؤال الذي يستوعب تجسيم مشاعره، وبهذا يكون قد صفع مخاطبه بالسؤال الإنكاري والإجابة المتقولبة في تركيب السؤال الإنكاري، مدخلاً إيّاه في مواجهة مع نفسه، تشعره بقبح فعله وسوء عاقبته"[1]. وقد اقترن الاستفهام بالنداء أيضًا في هذه الآية، فالتوجيه هنا، توجيه مركب.

الموضع الخامس، في الآية الخامسة والتسعين، قال تعالى:﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي خرج إلى دلالة الإنكار، والتوجيه هنا هذه المرة من موسى- عليه السلام- مخاطبًا السامريّ. ومعنى الآية: أن موسى- عليه السلام- وبعد أن فرغ من محاورة هارون التفت إلى المسبّب للمشكلة – السامريّ- ومن خلال الاستفهام أيضًا، توجّه إليه وسأله منكرًا، قال ابن عطية: "وقوله:﴿ فَمَا خَطْبُكَ ﴾ كما تقول: ما شأنك؟ وما أمرك؟ ولكن لفظة الخطب تقتضي

---

[1] نزال، مرجع سابق، ص 108.

انتهارا؛ لأن الخَطْب مستعمل في المكاره، فكأنه قال ما نحْسُك؟ وما شُؤمك؟ وما هذا الخَطْب الذي جاء من قِبَلك؟"[1]. ونلاحظ هنا أيضًا، اقتران الاستفهام بالنداء وعليه يكون التوجيه مركبًا.

الموضع الأخير، في الآية الخامسة والعشرين بعد المئة، قال تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي خرج إلى دلالة الإنكار، إذ القائل هو الكافر يوم القيامة مخاطبًا ربه. ومعنى هذه الآية: أن الكافر يوم القيامة يسأل ربه مستنكرا عن سبب جعله أعمى وقد كان مبصرًا في الدنيا. وللمفسرين في قوله:(أعمى) أقوال، منهم من قال: أعمى عن الحجة، ومنهم من قال: أعمى أي: متحيّر[2]. أما أبو السعود، فيرى أنه فاقد للبصر فعلاً[3]. وقد اقترن الاستفهام بالنداء أيضًا، ولكن هذه المرة تقدّم النداء على الاستفهام، وعليه يكون التوجيه مركبًا.

وبهذا الموضع، تنتهي المسألة الثالثة، وهي الاستفهام بالاسم "ما"، وقد وردت هذه المواضع كلها خارجة عن حقيقتها، كما مرّ معنا، ومن الملاحظ أن هذه المواضع الستة كلها، اقترن الاستفهام فيها بالنداء، وأنتجا توجيهًا مركبًا، أثر الأخير في الأول لفائدة التخصيص والتنبيه.

المسألة الرابعة: الاستفهام بالاسم "مَنْ"

"مَنْ" من أسماء الاستفهام، وهي من ضمن الأسماء التي يطلب بها التصور فقط. قال السكاكي:" أما مَنْ: فللسؤال عن الجنس من ذوي العلم، تقول: مَنْ جبريل؟ بمعنى: أبشر هو أم ملك أم جنّيّ، وكذا: مَنْ أبليس؟ ومَنْ فلان؟"[4].

---

(1) ابن عطية، مرجع سابق، م: 4، ص 61

(2) انظر: الرازي، مرجع سابق، ص 131.

(3) انظر:أبو السعود، محمد. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق: عبدالقادر عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، دت، ج: 3، ص 675. وتبعه الألوسي، أنظر: الألوسي، مرجع سابق، ص 278.

(4) السكاكي، مرجع سابق، ص 311.

وهذا الاسم ينجز فعلاً كلاميًا توجيهًا غرضه الاستفهام عن الجنس من ذوي العلم. وعند البحث عن هذا الاسم، وعن مواضعه في السورة الكريمة، لم أجد له إلا موضعًا واحدًا، وهو: قوله تعالى في الآية التاسعة والأربعين، قال:﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴾. وهذا فعل توجيهي إنجازي خرج إلى دلالة الإنكار والتعجب، وهذا الفعل صادر من فرعون مخاطبًا موسى وهارون، ثم موسى وحده. ومعنى الآية: أن فرعون سألهما منكرًا ومتعجبًا، بعد أن أتياه وبلغاه ما أُمرا به. ونجد أن فرعون هنا أضاف الضمير إليهما بقوله:﴿رَبُّكُمَا﴾؛ لكي لا يعترف بالربوبية، ويسمعه قومه ويتأثرون بذلك. وقد وجّه فرعون الخطاب لهما بداية، ثم وجّه الخطاب لموسى وحده من خلال النداء. وللمفسّرين آراء كثيرة في ذلك لعل أبعدها، القائل بمناسبة رؤوس الآي[1]. وقيل: لأن موسى صاحب الرسالة وهارون تابع له[2]. ولعل أقربها: أن فرعون يعرف موسى جيدًا، ويعلم أنّ به رتّة[3] بلسانه، فوجه الخطاب إليه؛ لكي يضيق عليه[4]. أما الباحث فيضيف رأيًا ربما يكون الأقرب، وهو: أن فرعون ومن خلال السؤال استخدم استراتيجيّة العزل، أي عزل موسى عن هارون؛ لكي يكون تأثير السؤال أقوى، بخلاف ما لو كان الاثنان معًا، والله سبحانه أعلم.

أما جواب موسى– عليه السلام– فكان مفحمًا لفرعون، وهو ما أجبره على استخدام الاستفهام مرة أخرى، بعد هذا الموضع؛ لكي يزيد من التأثير على موسى– عليه السلام. ولا يخفى قوة وتأثير تركيب السؤال على الطرفين في العملية التخاطبيّة. قال الزمخشري عن جواب موسى: "لله درُّ هذا الجواب ما أخصره! وما أجمعه! وما أبينه! لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف و

---

(1) انظر: القرطبي، مرجع سابق، ج: 11، ص 204. وانظر: الشوكاني، مرجع سابق، ج: 3، ص 368.

(2) انظر: الزمخشري ، مرجع سابق ، ج : 16 ، ص 657. وانظر: الرازي، مرجع سابق، ج: 22، ص 66.

(3) الرُّتَّةُ، بالضم: عَجَلَةٌ في الكلام، وقِلَّةُ أناةٍ، وقيل: هو من يقلب اللام ياءً، وقد رَتَّ رَتَّةً، وهو أرتُّ. وقيل : هي العجمة في الكلام انظر: ابن منظور، مادة: رتت.

(4) الزمخشري، مرجع سابق، ج16، ص 657. وانظر: الرازي، مرجع سابق، ج: 22، ص 66.

كان طالبًا للحق»[1]. واقترن الاستفهام بالنداء ها هنا أيضًا، فكان التوجيه مركبًا، أثَّر فيه الأخير في الأول تأثيرًا واضحًا، حاول فرعون الاستفادة منه، ولكن دون جدوى.

وبهذا الموضع، تنتهي المسألة الأخيرة من مسائل الاستفهام الواردة في سورة طه، وهي الاستفهام بـ "مَنْ".

وبه أيضًا، ينتهي هذا المبحث الثالث، وهو الاستراتيجيّة التوجيهيّة في الاستفهام، وقد ورد هذا الأسلوب في ثمانية عشر موضعًا، خرج الاستفهام فيها كلها عن حقيقته إلى دلائل أخرى، كالإنكار والتعجب، وغيرهما. وعليه، فإن الاستفهام على حقيقته، لم يرد في السورة مطلقًا.

---

[1] الزمخشري ، مرجع سابق ، ج : 16 ، ص 657.

المبحث الرابع: الاستراتيجيّة التوجيهيّة في النداء

يحتلّ النداء مكانة واسعة في الحوارات القرآنية، وقد ورد كغيره من الأساليب اللغوية المستخدمة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة في السورة الكريمة، في عدّة مواضع.

والنداء في عرف النحاة والبلاغيين: توجيه الدعوة للمخاطب وتنبيهه للإصغاء وسماع ما يريده المتكلم بأحد حروف النداء[1]. وهذه الحروف هي: "الهمزة" و "أي"، وهما لنداء القريب. و"أيا" و"هيا"، وهما لنداء البعيد. و"يا"، وهي أم الباب، وينادى بها القريب والبعيد معا، وأخيرا، "وا" وهي للندبة.

أما النداء في التعبير التداولي الحديث، فيُعرّف بأنه: فعل كلامي إنجازي غرضه دعوة المنادى لتنبيهه وتخصيصه[2]. وقد تتحول دلالة الفعل الإنجازي الندائي إلى أغراض بلاغية جديدة ومتعددة في حال تعذر إجرائه على أصله، كأن يُقصد به أمرٌ غيرُ الإقبال والتنبيه، أو عند استخدام بعض أدواته الخاصة بالقريب للبعيد، أو بالعكس، منتجًا حينها أفعالاً كلامية غير مباشرة، تفهم من السياق، كالاستغاثة، والتعجب، وغيرها[3].

وقد اهتم العلماء، قديما وحديثا، بالنداء وعالجوه من جوانب متعددة، وما ذلك إلا لمنزلة يستحقها النداء، فهو الأسلوب الجاري على اللسان في كل حالة من حالاته، وفي كل مقام من مقاماته، ففي حالة الفرح وانشراح النفس تسرع الألسنة إليه، وفي حالة الحزن والغم يُلجأ إليه، وفي حالة الاندهاش والانبهار تجد ضالتها فيه[4]. وعند النظر في بنية النداء، نجدها بنية مهيمنة في

---

[1] انظر: رضوان، حمدان. تراكيب أسلوب النداء في العربية، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد: السادس عشر، العدد الأول، يناير 2008 ، ص 226.

[2] انظر: لهويمل، مرجع سابق، ص 154.

[3] انظر: هارون، مرجع سابق، ص 18.

[4] انظر: تريكي، مبارك. النداء في القرآن، رسالة دكتوراة، ص 86.

الحوارات القرآنية، حملت أحوال المنادي وانفعالاته مجسمة سعيه الدؤوب للتواصل مع الآخر، ومحاولة لفت انتباهه، وإثارة اهتمامه بمضمون الرسالة التي يريد إيصالها[1].

النداء في سورة طه

عند تحليل سورة طه، تبين أنّ النداء ورد في عدّة مواضع، بلغت ثلاثة وعشرين موضعًا، كلها باستخدام أداة النداء "يا"، إلا خمسة مواضع حذفت منها أداة النداء. أما باقي أدوات النداء، فلم ترد في هذه السورة، ولا في القرآن كله[2]. وإلى تبيان هذه المواضع في المسألتين الآتيتين:

المسألة الأولى: النداء باستخدام أداة النداء "يا"

تُعدُّ "يا" أهم أدوات النداء، وسميت أم الباب؛ لأنها تمتاز عن غيرها بعدة مميزات، منها: دخولها على جميع أقسام النداء، وتفردها بالتقدير عند حذف أداة النداء، وبمشاركتها "وا" في الندبة، وإمكانيّة النداء بها للقريب والبعيد، وتفردها بدخولها على لفظ الجلالة الله، وعلى أيها، وأيتها، وغيرها[3]. أما المواضع التي وردت بها في السورة الكريمة، فهي كالآتي:

الموضع الأول، في الآية الحادية عشرة، قال تعالى:﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من الله سبحانه مخاطبا موسى-عليه السلام- وبُني الفعل للمجهول في هذا الموضع؛ لزيادة التشويق، فإبهام المنادي يشوق السامع إلى معرفة ذلك. وجملة:﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ في الآية التي تلي هذا الموضع، بيان لجملة: "نودي"، وبهذا النداء علِم موسى أنّ الكلام موجه له، والإخبار عن ضمير المتكلم بأنه رب المخاطب؛ لتسكين روعة نفسه من خطاب لا يرى مخاطبه،

---

[1] انظر: نزال، مرجع سابق، ص 220.

[2] انظر: لاشين، عبد الفتاح. من أسرار التعبير في القرآن الكريم- حروف القرآن، مكتبة عكاظ السعودية، 1983، ص 176.

[3] انظر: تريكي، مرجع سابق، ص 39.

فإن شأن الرب الرفق بالمربوب. وتأكيد هذا الخبر بالحرف "إن"؛ لرفع الشك عن موسى في مصدر هذا الكلام[1].

الموضع الثاني، في الآية السابعة عشرة، قال تعالى:﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾، وهذا فعل توجهي إنجازي صادر من الله سبحانه مخاطبا موسى- عليه السلام- وفي هذا الموضع سبق التوجيه بالنداء، توجيه بالاستفهام، وذلك عندما سأل الله سبحانه موسى- عليه السلام- عن هذه العصا التي بيده، وسؤاله سبحانه لموسى عنها؛ لكي يُقر بماهيتها، ثم يخبره الله بأنها سلاح وآية عظيمة له، فهذا طمأنةٌ من الله له، وقد تعزّزت هذه الطمأنينة باستخدام استراتيجية التوجيه بالنداء، وما لهذا النداء من تأثير على نفسية موسى. وعليه، فإن التوجيه هنا، مركب.

الموضع الثالث، في الآية التاسعة عشرة، قال تعالى:﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من الله سبحانه مخاطبًا موسى-عليه السلام- وقد سبق التوجيه بالنداء، توجيه بالأمر، وذلك عندما أمره الله بإلقاء هذه العصا؛ ليريه ما سيفعل بها، فجاء النداء هنا؛ لتخصيص موسى بالأمر، وتأنيسه. وعليه، يكون التوجيه هنا، مركبًا.

الموضع الرابع، في الآية السادسة والثلاثين، قال تعالى:﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من الله سبحانه مخاطبا موسى- عليه السلام- وفي هذا الموضع أجاب الله لموسى دعوته، لأنه عندما طلب الله منه الذهاب إلى فرعون، توجه موسى إلى الله بجملة من الدعوات؛ لكي تعينه وتساعده على أداء هذه المهمة الصعبة، جاء الجواب من الله، وبجملة واحدة، أعقبها الله بندائه؛ لكي يطمئنه ويزيد من ثقته بنفسه، وكان موسى- عليه السلام- خائفًا مضطربًا من هذا الحوار المفاجئ مع ربه.

---

[1] انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 196.

الموضع الخامس، في الآية الأربعين، قال تعالى:﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي، وهو صادر من الله سبحانه مخاطبًا موسى- عليه السلام- فبعد أن استجاب الله عزّ وجلّ لموسى، أعقب ذلك بذكر مجموعة من المنن التي تفضل بها عليه، وذكر الله أن هذا كله بتقدير منه[1]. وما ذكر هذه النعم، ومناداته؛ إلا لزيادة تثبيته وتقويته على مهمته.

الموضع السادس، في الآية التاسعة والأربعين، قال تعالى:﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من فرعون مخاطبا موسى- عليه السلام- وقد سبق النداء هنا، توجيه من فرعون بالاستفهام، وقد بنا هذا الموضع في مبحث الاستفهام فلا حاجة إلى إعادته[2].

الموضع السابع، في الآية السابعة والخمسين، قال تعالى:﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من فرعون مخاطبًا موسى- عليه السلام- وقد سبق التوجيه بالنداء في هذا الموضع، توجيه بالاستفهام الإنكاري، فبعد أن فشل فرعون في محاولاته السابقة في ثني موسى- عليه السلام- حاول مجددًا من خلال استراتيجيتين أيضًا؛ لكي يُبيّن لقومه أن موسى مجرد ساحر، وقد أدخل قومه معه في الخطاب عندما قال:﴿ أَجِئْتَنَا ﴾، وأسند الضمير إلى موسى تحقيرا عند قوله:﴿ بِسِحْرِكَ ﴾. وذكر الأرض قال:﴿ أَرْضِنَا ﴾، وما للأرض من أهمية عند قومه، وناداه بطريقة تحمل معها دلالة الاحتقار.

---

[1] انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 222.

[2] انظر: ص (111- 112) من الرسالة.

الموضع الثامن، في الآية الخامسة والستين، قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من السحرة مخاطبين موسى- عليه السلام- وفي هذا الموضع وبعد أن اجتمع السحرة ودبّروا أمرهم، وبموعد محدد اتفقوا عليه، أتوا وقالوا: يا موسى إما أن تلقي وإما أن نلقي نحن- وقد تقدم الحديث عن هذا الموضع في مبحث الأمر- وهم بندائهم موسى، يريدون تخصيصه بالأمر، فجاء النداء تمهيدًا للأمر. وعليه، يكون التوجيه هنا مركبًا.

الموضع التاسع، في الآية الثمانين، قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من الله سبحانه مخاطبا القوم الذين خرجوا مع موسى- عليه السلام- واستخدم الله النداء؛ لتخصيصهم، وتنبيههم بما هم عليه، والنداء في هذا الموضع؛ تمهيد للتوجيه بالأمر، والنهي في الآية التي تلي هذه الآية عندما قال لهم: ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ﴾.

الموضع العاشر، في الآية الثالثة والثمانين، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾. وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من الله سبحانه مخاطبا موسى- عليه السلام- وقد سبق التوجيه بالنداء، توجيه بالاستفهام، فجاء النداء؛ لتخصيص موسى- عليه السلام- وتنبيهه. وعليه، يكون التوجيه مركبًا.

الموضع الحادي عشر، في الآية السادسة والثمانين، قال تعالى: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من موسى- عليه السلام- مخاطبًا قومه، وفي هذا الموضع توجّه موسى- عليه السلام- لقومه وهو في شدة غضبه مستخدمًا النداء،

وما يحمله من دلالات اللوم والعتاب، وهذا النداء، تمهيد لما سيأتي بعده من جملة الأسئلة التي وجهها إليهم، وإلى هارون من بعدهم. وعليه، فالتوجيه، مركب من النداء وما يحمله من دلالات، ومن الاستفهام الذي جاء بعده.

الموضع الثاني عشر، في الآية التسعين، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من هارون- عليه السلام- مخاطبًا قومه. والنداء في هذا الموضع، تمهيد لمقام النصيحة[1]، إذ قال: ﴿ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴾، فالنداء وإن كان في البداية لشدّ انتباههم إليه، وتوجيه الكلام نحوهم، إلا أنه مهّد لما سيطلبه منهم. وعليه، يكون التوجيه في هذا الموضع، توجيهًا مركبًا.

الموضع الثالث عشر، في الآية الثانية والتسعين، قال تعالى:﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴾. وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من موسى مخاطبًا هارون- عليهما السلام- وفي هذا الموضع استخدم موسى- عليه السلام- استراتيجيتين، الأولى: النداء؛ وهي للتخصيص والإقبال، والأخرى: الاستفهام؛ للوم والعتاب. ونلاحظ أنّ موسى-عليه السلام- لم يترك لهارون فرصة للإجابة، بل وجّه له الاستفهام مرة أخرى، عندما قال مباشرة:﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾، وما هذه الأسئلة المتوالية؛ إلا لمحاولة تفريغ غضب موسى من خلال استراتيجيّة الاستفهام، وتوبيخ من خالفه. وعليه، يكون التوجيه مركبًا.

الموضع الرابع عشر، في الآية الرابعة والتسعين، قال تعالى:﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر

---

[1] انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 290.

من هارون مخاطبًا موسى- عليهما السلام- وفي هذا الموضع استخدم هارون- عليه السلام- استراتيجية النداء متوجها إلى أخيه، واختار أن يقول له: يا ابن أمّ، مع أنه أخوه من الأب أيضًا؛ طلبًا للاستعطاف والترقيق، حيث إن موسى-عليه السلام- كان في شدّة غضبه، وقد أدّى النداء وما يحمله من دلالات إلى تمهيد نهي موسى-عليه السلام- عن معاقبته، عندما قال:﴿ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ﴾، ثم توجّه إليه وذكر سبب عدم امتثاله لأمره. وعليه، فإن التوجيه هنا مركب.

الموضع الخامس عشر، في الآية الخامسة والتسعين، قال تعالى:﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من موسى-عليه السلام- مخاطبًا السامريّ. وفي هذا الموضع نلاحظ أن موسى- عليه السلام- استخدم استراتيجيتين، الأولى: الاستفهام الإنكاري. والأخرى: النداء. ونلاحظ أن موسى قدّم الاستفهام على النداء، مع أن التقدير: يا سامري ما خطبك؟ لأن الاستفهام عنده أهم. وما النداء إلا لزيادة تخصيص السؤال وتوجيهه، وتطويق المتلقي؛ إذ من الممكن أن يكتفي بـ (ما خطبك؟). وعليه، يكون التوجيه مركبًا.

الموضع السادس عشر، في الآية السابعة عشرة بعد المئة، قال تعالى:﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾. وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من الله مخاطبا آدم- عليه السلام- وفي هذا الموضع استخدم الله استراتيجيتين لتوجيه آدم- عليه السلام- الأولى: مناداته وتخصيصه. والأخرى: نهيه عن عدم الامتثال لدعوة إبليس- وقد جاء النهي بصورة المضارع المؤكد، والفعل بهذه الطريقة يؤكد أن الفعل لم يحصل بعد، فالنداء في هذا الموضع جاء تمهيدًا للنهي التالي. وعليه يكون التوجيه هنا، مركبًا.

الموضع الأخير، في الآية العشرين بعد المئة، قال تعالى:﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾. وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من إبليس مخاطبًا آدم- عليه السلام- وفي هذا الموضع استخدم إبليس استراتيجيتين، الأولى: النداء باسمه؛ ليكون أقبل عليه وأمكن. والأخرى: الاستفهام الذي يحمل دلالة النصح. وعليه، يكون التوجيه مركبًا.

وبهذا الموضع، تنتهي مواضع النداء بالأداة "يا"، الواردة في سبعة عشر موضعًا ونلاحظ أن النداء، وإن جاء على حقيقته، في كل المواضع، إلا أنه حمل معه دلالات متعددة اختلفت حسب السياق الذي وردت فيه.

المسألة الثانية: النداء من غير أداة

حذفت أداة النداء من تركيب النداء في سورة طه في ستة مواضع، وهذه المواضع كلها، كان النداء فيها موجهًا إلى الله بلفظ (ربِّ). وللعلماء أقوال كثيرة في سبب حذف الأداة، والمتفق عليه: إن هذا للمبالغة في قرب المنادى. وفي هذا الجانب، يقول تريكي: ومما هو لافت للنظر في هذا الملفوظ- ربِّ- تعرّض عنصره الثاني للحذف، وهو ياء المتكلم، في كل موضع من مواضعه، وأنه يكثر إتباعه بأمر أو استفهام، وأنه يكثر حذف الأداة معه، إذ لم تذكر الأداة قبله إلا في موضعين[1]؛ لأغراض بلاغية. أما دلالة الحذف، فلعلها الأليق لمناسبة المقام، فلقد ذكر السامرائي قولاً لافتًا في حذف هذه الأداة، نراهُ ينسحب على معظم المواقع القرآنية، حيث قال:" ولم يقل: يا ربِّ؛ لأن الوقت لم يعد يحتمل التضييع في الكلام، فيأتي بـ "يا"، بل يريد أن يستعجل في طلبه،

---

[1] الموضعان هما قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾، الفرقان، آية: ٣٠، وقوله تعالى: ﴿ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، الزخرف، آية: 88.

فيختصر من الكلام ما لا حاجة له به ليفرغ إلى مراده"[1]. وهذا التخريج نراه صالحًا لأن ينسحب على باقي المواقع الندائية للفظ في معظم القرآن[2]. أما المواضع الواردة في السورة الكريمة بحذف أداة النداء، فهي كالآتي:

الموضع الأول، في الآية الخامسة والعشرين، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾. وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من موسى- عليه السلام- مخاطبًا ربه عزّ وجلّ. وفي هذا الموضع توجّه موسى- عليه السلام- بجملة من الطلبات وذلك عندما كلّفه الله بمهمة صعبة، وهي الذهاب إلى فرعون، فابتدأ موسى- عليه السلام- خطابه بالنداء، ثم أعقب ذلك بجملة من الطلبات، وإن كانت بأسلوب الأمر، فهي دعاء. والنداء هنا، جاء تمهيدًا لهذه الطلبات. وقد حذفت أداة النداء هنا؛ لقرب المنادى، وكذلك في بقية المواضع التالية. وأخيرًا، فإن التوجيه في هذا الموضع، مركب من النداء والأمر الذي خرج لمعنى الدعاء.

الموضع الثاني، في الخامسة والأربعين، قال تعالى:﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾، وهذا توجيه صادر من موسى- عليه السلام- مخاطبًا ربه عزّ وجلّ. وفي هذا الموضع وعندما تجدّد الخطاب من الله لموسى بالذهاب إلى فرعون، توجّه موسى إلى ربه ومن خلال استراتيجية النداء؛ طالبًا منه المساعدة. وجاء الجواب من الله مباشرة بأسلوب النهي، عندما قال: ﴿ لَا تَخَافَآ ﴾، وقال:﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾، وما فيها من مؤكدات. وكل هذا استجابة لدعاء موسى- عليه السلام.

---

[1] السامرائي، فاضل. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ط: 3، دار عمار، عمّان، 2003، ص: 187.

[2] انظر: تركي، مرجع سابق، ص 310.

الموضع الثالث، في الآية الرابعة والثمانين، قال تعالى:﴿ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾، وهذا فعل توجيهي صادر من موسى- عليه السلام- مخاطبًا ربه عزّ وجلّ. وفي هذا الموضع توجّه موسى إلى ربّه من خلال استراتيجيّة النداء؛ للإجابة عن سؤاله في الآية التي قبلها، عندما قال:﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾، وفي هذا الموضع تقديم وتأخير. وقد تقدّم الحديث عنه في مبحث الاستفهام[1]. والتوجيه مركب هنا أيضًا.

الموضع الرابع، في الآية الرابعة عشرة بعد المئة، قال تعالى:﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾. وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- مخاطبا ربه عزّ وجلّ. وفي هذا الموضع عدّة توجيهات من الله لنبيه- صلى الله عليه وسلم- ابتدأها الله بنهيه عن التعجل بالقرآن، ثم أمره بأن يدعو الله من خلال النداء بالزيادة من العلم. وفي هذا النداء، تلطف من الله وذلك بعد أن نهاه في البداية. وقد تقدّم الحديث عن هذا الموضع في مبحث النهي[2]، والتوجيه هنا ، مركب من النهي، ثم الأمر، ثم النداء، وأخيرًا الأمر.

الموضع الخامس، في الآية الخامسة والعشرين بعد المئة، قال تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾. وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من الكافر مخاطبًا ربه عزّ وجلّ. وفي هذا الموضع، يتوجه الكافر يوم القيامة ومن خلال استراتيجية النداء بسؤال ربه مستنكرًا حال كونه

---

[1] انظر: ص (108- 109) من الرسالة.

[2] انظر: ص (88 – 89) من الرسالة.

أعمى. وقد تقدم أيضًا الحديث حوله في مبحث الاستفهام[1]. وأخيرًا، فإن التوجيه هنا مركب، جاء النداء فيه تمهيدًا للسؤال.

الموضع الأخير، في الآية الرابعة والثلاثين بعد المئة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من المشركين مخاطبين الله عزّ وجلّ. وفي الموضع يقول سبحانه وتعالى: لو أنّا لم نرسلك يا محمد لهم، لقالوا من خلال النداء: هلاّ أرسلت لنا رسولا. فالنداء جاء تمهيدًا لقولهم، ومن خلال أسلوب التحضيض ذلك. وسيأتي الحديث حول التحضيض في المبحث التالي. والتوجيه هنا، مركب من النداء، والتحضيض.

وبهذا الموضع، تنتهي مواضع النداء مع حذف الأداة، الواردة في ستة مواضع، كما رأينا. وبه أيضًا، ينتهي هذا المبحث الذي خصّصناه للاستراتيجية التوجيهية في النداء.

---

[1] انظر: ص (110 – 111) من الرسالة.

المبحث الخامس: الاستراتيجيّة التوجيهيّة في التحضيض

التحضيض من الأساليب اللغوية المستخدمة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة، وقد ورد كغيره من الأساليب الأخرى في سورة طه، إلا أنه ورد بصورة قليلة مقارنة بغيره، إذ ورد في موضعين فقط في آخر هذه السورة الكريمة.

والتحضيض، هو: الطلب في حثّ وإزعاج. وحروفه خمسة، وهي: "هلاّ"، و"ألاّ"، و"ألا"، و"لوما"، وأخيرا "لولا" [1]. و"هذه الحروف كلها، معناها التحضيض والحث، وإذا وليها المستقبل كنّ تحضيضًا، وإذا وليها الماضي كنّ لومًا وتوبيخًا فيما تركه المخاطَب، أو يُقدّر فيه الترك"[2]. أما الموضعان اللذان وردا في سورة طه، فهما:

الموضع الأول، في الآية الثالثة والثلاثين بعد المئة، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾. وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من المشركين مخاطبين به النبي محمدًا– صلى الله عليه وسلم– والمعنى: أن المشركين ومن شدّة تعنتهم قالوا ومن خلال استراتيجية التحضيض: هلاّ يأتينا محمد بآية مثل آيات الأنبياء؛ لكي نؤمن له. وقد ردّ الله عليهم عندما قال في الآية نفسها، وباستخدام الاستفهام الإنكاري: ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾، وعليه، فالتوجيه هنا مركب، كما رأينا.

الموضع الأخير، في الآية الرابعة والثلاثين بعد المئة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من المشركين مخاطبين الله عزّ وجلّ. وفي الموضع نلاحظ أن التوجيه بالتحضيض

---

[1] انظر: هارون، مرجع سابق، ص 16.

[2] ابن يعيش، موفق الدين. شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ج: 5، ص 89.

قد سُبق بالتوجيه بالنداء من هؤلاء المشركين- وذلك يوم القيامة- فقالوا: ربنا هلاَّ كنت أرسلت لنا رسولا، على سبيل اللوم والاحتجاج[1]. وبناءً على ذلك، فالتوجيه في الموضع مركب، كما رأينا.

وبهذا الموضع، تنتهي المواضع الواردة في السورة الكريمة باستخدام أسلوب التحضيض، وقد ورد في موضعين فقط.

[1] انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 347.

المبحث السادس: الاستراتيجيّة التوجيهيّة بذكر العاقبة

ذكر العاقبة، أسلوب من أساليب الاستراتيجيّة التوجيهيّة اللغوية، وقد ورد هذا الأسلوب كغيره من الأساليب الأخرى في سورة طه، ولكن بصورة أقل، كما سيتبين معنا.

وذكر العاقبة نوع من أنواع الخطابات المتعددة، وهذه الخطابات على أشكال، إذ تُصنَّف بعضها على أنها خطابات غير صريحة، منها، ما جاء مجيء الإخبار. ومنها، ما جاء مجيء مدحه أو مدح فاعله في الأوامر، أو ذمّه وذم فاعله في النواهي، وما أشبه ذلك. والخطابات إذا ما جاءت بهذه الطريقة، فهي تُعدُّ أفعالاً توجيهية إنجازية، وتدلّ على طلب الفعل في المحمود، أو طلب الترك في المذموم[1].

وكثيرًا ما تستخدم هذه الطريقة عندما يكون المرسل لا يمتلك سُلطة أعلى من سُلطة المرسل إليه، ومن ثمّ حرمانه من استخدام التوجيه بالأمر والنهي الصريحين، فإنه يستخدم هذه الطريقة الأقل حدّة؛ ذاكرًا الآثار المترتبة لفعل أمرٍ معين، أو تركه[2].

وللخطاب من خلال هذه الطريقة أشكال متعددة، منها، وصف هذا الفعل بالخير، كقولك: ذهابك إلى العمل مبكرًا خير لك. ومنها، ذكر النتيجة من وراء القيام بعمل معين، كقولك: التدخين مسبب لمعظم الأمراض. ومنها أيضًا، ربط إنجاز الفعل بوعد أو وعيد، وذلك من خلال الاشتراط، ونحو ذلك[3].

---

[1] الشهري، مرجع سابق، ص 361.

[2] نفسه، الصفحة نفسها.

[3] نفسه، ص 362.

أما المواضع الواردة في سورة طه في هذا الأسلوب، فهي:

الموضع الأول، في الآية السابعة والأربعين، قال تعالى:﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من موسى- عليه السلام- مخاطبًا فرعون. وفي هذا الموضع نلاحظ أن موسى ختم طلبه بتوجيه أخير، وهو ذكر العاقبة، والمعنى: أن من يتبع الهدى يسلم. وليس المقصود التحية[1]. وعليه، فالتوجيه هنا، مركب من الأمر في ثلاثة مواضع، ثم النهي، وأخيرًا، ذكر العاقبة.

الموضع الثاني، في الآية الواحدة والستين، قال تعالى:﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾. وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من موسى- عليه السلام- مخاطبًا السحرة. والمعنى في قوله:﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾، أي: اجتنبوا الكذب، فقد خاب وخسر من كذب على الله. وفي هذا الموضع، اجتمعت ثلاثة توجيهات صادرة من موسى تجاه السحرة، الأول بالدعاء عليهم[2]، والثاني بنهيهم عن الافتراء على الله، والثالث بذكر عاقبة من يفعل ذلك. وعليه، يكون التوجيه مركبًا.

الموضع الثالث، في الآية الرابعة والستين، قال تعالى:﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من فرعون مخاطبًا السحرة. وفي هذا الموضع جاء التوجيه مركبًا، بداية بالأمر، ثم الأمر المعطوف، ثم ذكر العاقبة، وهي قول فرعون ووعده لهم بأن الفلاح لمن يغلب. وقوله:﴿ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾، مبالغة في علا، فالسين والتاء للتأكيد[3].

---

[1] انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 230.

[2] على تأويل: ليأزمكم الله الويل، وقد مرّ معنا في مبحث الأمر، انظر: ص (80) من الرسالة.

[3] انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ج: 16، ص 257.

الموضع الرابع، في الآية التاسعة والستين، قال تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من الله مخاطبًا موسى- عليه السلام- وفي هذا الموضع نلاحظ أن التوجيه مركب من الأمر، ثم ذكر العاقبة، أسهم الأخير في زيادة اطمئنان موسى- عليه السلام- وذلك بقوله تعالى: إن الساحر مهما فعل فلن يفلح أبدًا.

الموضع الخامس، في الآية الواحدة والثمانين، قال تعالى: ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من الله سبحانه مخاطبًا قوم موسى. والله سبحانه في هذا الموضع، وجه القوم بثلاثة توجيهات، الأول أمرهم بالأكل، والثاني نهيهم عن الكفر بهذه النعمة، والثالث ذكر لهم عاقبة من يكفر بالنعمة؛ وهي الهلاك.

الموضع السادس، في الآية الثانية عشرة بعد المئة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من الله إلى مخاطَب غير محدد. والمعنى: أن الله يؤكد بأن مَنْ يعمل صالحًا فلا يخاف أنْ يظلم، أو أنْ يُنقص من جزائه، وذلك باستخدام ذكر العاقبة المشروطة.

الموضع الأخير، في الآية الرابعة والعشرين بعد المئة، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾، وهذا فعل توجيهي إنجازي صادر من الله إلى مخاطَب غير محدد أيضًا. والمعنى هذه المرة: أن الله يُحذر من يُعرض ويكفر، فإن له عقوبتين، عقوبة في الدنيا، وهي العيش بضيق وعسر. وعقوبة في الآخرة، وهي حشره أعمى.

وبهذا الموضع، تنتهي المواضع الواردة في سورة طه الواردة بهذه الاستراتيجيّة – ذكر العاقبة- وقد وردت في سبعة مواضع، أسهمت في تأكيد التوجيه كما رأينا.

وبعد، فهذه هي الأساليب اللغوية المستخدمة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة الواردة في سورة طه، وقد اشتملت هذه السورة الكريمة على ستة أساليب- كما رأينا- أما باقي الأساليب فلم ترد في هذه السورة مطلقا.

وأخيرًا، أختم هذا الفصل، بذكر نسبة ورود هذه الأساليب اللغوية المستخدمة في الاستراتيجية التوجيهية في سورة طه من خلال هذا الجدول التالي، والذي يوضح نسبة كل من هذه الأساليب.

جدول رقم 1

م	الأسلوب	عدد مواضعها و نسبة ورودها بالمئة
1	الأمر	ورد في أربعة وخمسين موضعًا، وبنسبة: 46.55 %.
2	النداء	ورد في ثلاثة وعشرين موضعًا، وبنسبة: 19.82 %.
3	الاستفهام	ورد في ثمانية عشر موضعًا، وبنسبة: 15.51 %.
4	النهي	ورد في اثنا عشر موضعًا، وبنسبة: 10.34 %.
5	ذكر العاقبة	ورد في سبعة مواضع فقط وبنسبة: 6.03 %.
6	التحضيض	ورد في موضعين فقط وبنسبة: 1.72 %.

من خلال الجدول السابق، يتبين أن الأمر حصل على أعلى نسبة، تلاه النداء، ثم الاستفهام، ثم النهي، ثم ذكر العاقبة، وأخيرًا التحضيض.

ولعل السبب وراء ذلك أنَّ السورة قائمة على عدة حوارات. يقول إبراهيم عوض: "وتكثر أفعال الأمر كثرةً ملحوظة في هذه السورة، ويبدو لي أن ذلك راجع إلى انتشار الحوار فيها. وأغلب الأوامر صادرة من الله سبحانه. وتبرز أيضًا أفعال النهي، ولنفس السبب، ولكنها ليست بكثرة أفعال الأمر"[1].

[1] عوض، إبراهيم. سورة طه دراسة لغوية أسلوبية مقارنة، الطائف، 1993، ص 130.

الخاتمة

وهكذا تنتهي الرحلة في ظلال هذه السورة العظيمة، التي تتبدّى فيها مظاهر التوجيه في أرقى تجلّياتها، ضمن عدّة حوارات، يتقدّمها خطاب الله عزّ وجلّ للنبيّ محمّد صلى الله عليه وسلم. وهذه الحوارات تبدأ بالحوار بين الله سبحانه وتعالى والنبيّ موسى- عليه السلام، وتنتهي بالحوار بين موسى والسامريّ؛ مرورًا بالحوار بين موسى من ناحية وفرعون ومعه السحرة من ناحية أخرى، والحوار بين موسى وهارون- عليهما السلام- وقومهما.

واقتضى البحث في مستواه النّظري الحديث عن الخطاب وأهمّ الدراسات فيه، وعن السياق وعلاقته بالخطاب، ثمّ الحديث عن الاستراتيجيّة التوجيهيّة في الخطاب، وأبرز الدراسات التي تناولتها، ثمّ بيان مسوّغات استعمال الاستراتيجيّة التوجيهيّة دون غيرها، وأخيرًا ذكر الأساليب اللغويّة المستخدمة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة.

وقد توصلت في هذا الفصل إلى مجموعة من النتائج، يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- ورد لفظ الخطاب في القرآن الكريم في عدّة مواضع، وهذه المواضع تدل على أن للخطاب وظيفية إبلاغيّة مؤثّرة.
- تصدّى العلماء المتقدّمون والمتأخّرون لمصطلح الخطاب، وتناولوه من عدّة جوانب؛ كل بحسب الاتجاه الذي ينتمي إليه، وعرّفوه بتعريفات متعددة ومختلفة، على أنّ بعض المتأخرين تركه دون تعريف.
- اهتمّ العلماء العرب، قديمًا وحديثًا، بدراسة الخطاب، وتناولوه من عدّة جوانب لعلّ أبرزهم علماء أصول الفقه؛ لارتباط أعمالهم به.

- تنوعت الدراسات الغربية حول الخطاب، وذلك من خلال اتجاهين: اتجاه شكليّ، وآخر تواصليّ، اهتمّ الأوّل بدراسة الخطاب بمعزل عن السياق، أما الآخر فتعدى ذلك ودرس النظام اللغوي مرتبطًا بالسياق، ومبينًا أثره في تشكيل الخطاب.
- لا يمكن دراسة الخطاب مكتفيًا بأحد الاتجاهين- الشكليّ والتواصليّ- بل يجب الأخذ بهما معًا؛ فلكلّ اتّجاه منهما وظيفة.
- للسياق دورٌ مهمّ لا يمكن إغفاله، وقد تنبّه لذلك العلماء في مختلف مجالاتهم قديمًا وحديثًا.
- للسياق عناصر مختلفة يمكن إجمالها في ثلاثة عناصر: عنصر ذاتي، وعنصر موضوعي، وعنصر ذواتي.
- استراتيجيّات الخطاب كثيرة ومتنوعة، تختلف بحسب غرض المتكلم، وهذا الغرض يُحدّد في ضوئه الاستراتيجيّة التي تتناسب مع غرضه.
- للاستراتيجيّة التوجيهيّة مجموعة من المسوّغات يُسمح للمتكلم من خلالها أن يستخدم هذه الاستراتيجيّة دون غيرها.
- للاستراتيجيّة التوجيهيّة مجموعة من الأساليب اللغويّة تتحقّق من خلالها.

أما الفصل الثاني، فكان للجانب التطبيقي في هذه السورة الكريمة؛ وجرى فيه البحث عن استراتيجيّة توجيه الخطاب، باستخدام مجموعة من الأساليب اللغوية المستخدمة في الاستراتيجيّة التوجيهيّة، والمتضمّنة في السورة وهذه الأساليب، هي: الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، والتحضيض، وذكر العاقبة. وفي هذا الفصل توصلت إلى مجموعة من النتائج، يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- ورد التوجيه بأسلوب الأمر في هذه السورة الكريمة أكثر من غيره؛ إذ ورد في خمسين موضعًا على الصيغة القياسيّة "افعلْ" الصريحة، وفي موضعين على الصيغة نفسها مقدّرة، وفي موضع واحد على لام الأمر الداخلة على الفعل المضارع، وعلى صيغة المصدر النائب عن الفعل. أما باقي أدوات الأمر، وطرق أداء معنى الأمر الأخرى فلم ترد في السورة.

- ورد التوجيه بأسلوب النهي في هذه السورة الكريمة في اثني عشر موضعًا، تسعة منها، جاء فيها الفعل على الصيغة القياسية: "لاتفعل"، وثلاثة مواضع جاء فيها الفعل على الصيغة القياسيّة مقترنةً بنون التوكيد الثّقيلة: "لا تفعلنّ"، "لا يفعلنّ"؛ التي نقلت دلالته من الحال والاستقبال إلى الاستقبال حسب.

- ورد التوجيه بأسلوب الاستفهام في السورة الكريمة في ثمانية عشر موضعًا، استخدمت فيه عدّة أدوات، خرج الاستفهام فيها كلها عن حقيقته إلى معان أخرى، كالإنكار، والتعجب، والتوبيخ، وغيرها.

- ورد التوجيه بأسلوب النداء في السورة الكريمة في ثلاثة وعشرين موضعًا، كلها باستخدام أداة النداء "يا"، وجرى حذف أداة النداء في خمسة مواضع. والنداء في هذه المواضع كلها، وإن جاء على حقيقته إلا أنه حمل معه دلالات متعددة، اختلفت حسب السياق الذي وردت فيه.

- ورد التوجيه بأسلوب التحضيض في السورة الكريمة بصورة قليلة؛ إذ لم يرد إلا في موضعين فقط.

- ورد التوجيه بأسلوب ذكر العاقبة في السورة الكريمة في سبعة مواضع فقط.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم بقراءة حفص عن عاصم.

- الكتب والمؤلّفات:

- إدريس، مقبول. الأسس الأبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، إربد، 2006.

- الآمدي، علي. الإحكام في أصول الأحكام، ط2، تحقيق: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986.

- الألوسي، شهاب الدين. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث، بيروت، 2009.

- أمبرتو إيكو. القارئ في الحكاية: التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996.

- الأندلسي، أبو حيّان. البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.

- البعلبكي، رمزي. معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، بيروت، 1990.

- البقاعي، أبو الحسن. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1984.

- الجاحظ، عمر. الحيوان، ط2، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار التراث، القاهرة، 1965.

- الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984.
- الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد الداية، وفايز الداية، دار الفكر، دمشق، 2007.
- ابن جني، عثمان. الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د.ت.
- الجويني، عبدالملك. الكافية في الجدل، تحقيق: فوقيّة حسين، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، 1979.
- الحباشة، صابر. الأسلوبية والتداولية مداخل لتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد، 2011.
- حسّان، تمام. البيان في روائع القرآن، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 2000.
- حمادي، إدريس. الخطاب الشرعي وطرق استثماره، المركز الثقافي العربي، بيروت، د.ت.
- الخولي، محمد. معجم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، 1982.
- الدرويش، محيي الدين. إعراب القرآن الكريم وبيانه، ط6، دار اليمامة، دمشق، 1999.
- الرازي، فخر الدين. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، 1981.
- الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني، ط3، تحقيق: محمد خلف الله، و محمد زغلول، دار المعارف، القاهرة، 1976.
- الزبيدي، محمد. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: ضاحي عبدالباقي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 2001.

- الزركشي، بدر الدين. البرهان في علوم القرآن، ط3، تحقيق: محمد إبراهيم، دار التراث، القاهرة، 1984.
- الزمخشري، جار الله. أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، 2009.
- الزنفلي، أحمد. التخطيط الاستراتيجي للتعليم الجامعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2000.
- الزناد، الأزهر. نسيج النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993.
- السامرائي، فاضل. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ط3، دار عمار، عمّان، 2003.
- أبو السعود، محمد. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق: عبدالقادر عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د.ت.
- السكاكي، يوسف. مفتاح العلوم، ط2، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.
- الشهري، عبدالهادي. استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004.
- الشوكاني، محمد. فتح القدير، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، 2010.
- الصابوني، محمد. صفوة التفاسير، المكتبة العصرية، بيروت، 2012.

- العلوي، يحيى. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1914.
- العموش، خلود. الخطاب القرآني- دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، إربد، 2005.
- الغزالي، محمد. المستصفى، تحقيق: محمد الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997.
- الفرّاء، يحيى. معاني القرآن، ط3، مكتبة الخانجي، عالم الكتب، بيروت، 1983.
- الفراهيدي، خليل بن أحمد. العين، تحقيق: محمود هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
- القرطاجني، حازم. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
- القزويني، جلال الدين. الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- القضاة، فريال. الخطاب العقلي، دار العالم العربي، دبي، 2009.
- الماوردي، علي. أدب الدين والدنيا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.
- المبدي، محمد. معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985.
- المتوكل، أحمد. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، الرباط، 1995.
- المرادي، الحسن. توضيح المقاصد والمسالك في شرح ألفية ابن مالك، تحقيق: عبدالرحمن سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001.
- الوادي، أحمد. فوائد ولطائف وتنبيهات قرآنية، 2004.

- خليل، إبراهيم. الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997.
- سيبويه، عمرو. الكتاب، ط3، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988.
- صحراوي، مسعود. التداوليّة عند العلماء العرب: دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي، دار الطليعة، بيروت، 2005.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير، الدار الأندلسية للنشر، تونس، 1984.
- عبدالحق، صلاح. التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، بيروت، 1993.
- عبدالغفار، السيد. التصور اللغوي عند الأصوليين، مكتبة عكاظ، 1981.
- عزيز، صالح. جماليّات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، دار الزمان، دمشق، 2010.
- ابن عطيّة، عبدالحق. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.
- عوض، إبراهيم. سورة طه دراسة لغوية أسلوبية، الطائف، 1993.
- ابن فارس، أحمد. الصاحبي في فقه اللغة العربية مسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.
- ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، القاهرة، 1979.
- ابن قتيبة، عبدالله. تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، 1973.
- قطب، سيّد. في ظلال القرآن، ط9، دار الشروق، بيروت، 1980.
- ابن قيم، محمد. بدائع الفوائد، تحقيق: علي العمران، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، د.ت.

- لاشين، عبد الفتاح. من أسرار التعبير في القرآن الكريم- حروف القرآن، مكتبة عكاظ، السعودية، 1983.
- لطفي، مصطفى. اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1976.
- لهويمل، باديس. مظاهر التداولية في مفتاح العلوم، عالم الكتب الحديث، إربد، 2014.
- ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.
- نحلة، محمود. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2002.
- نزال، فوز. لغة الحوار في القرآن الكريم، دار الجوهرة، عمّان، 2001.
- هارون، عبدالسلام. الأساليب الإنشائية، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981.
- ابن هشام، عبدالله. شرح شذور الذهب، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الطلائع، القاهرة، 2004.
- ابن يعيش، موفق الدين. شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.
- يقطين، سعيد. تحليل الخطاب الروائي، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، د.ت.
- يوسف، حمزة. رؤية لسانية في الإعجاز القرآني، دار رند للنشر والتوزيع، دمشق، 2010.

- **البحوث العلمية:**

- الهبيل، عبدالرحيم. الاستفهام في البلاغة العربية، مجلة البحوث التربوية الفلسطينية، العدد التاسع عشر، يونيو 2012.

- رضوان، حمدان. تراكيب أسلوب النداء في العربية، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد السادس عشر، العدد الأول، يناير 2008.

- عبدالرحمن، طه. البحث اللساني والسيميائي، الدلاليّات والتداوليات(أشكال وحدود)، كلية الآداب، جامعة محمد السادس، المغرب، 1984.

- **الرسائل الجامعية:**

- تريكي، مبارك. النداء في القرآن، رسالة دكتوراة، جامعة ابن يوسف، الجزائر، 2007.

- رفاعي، محمد. السياق في كتب التفسير الكشاف وتفسير ابن كثير نموذجا، رسالة ماجستير.

- الطحّان، تقي الدين. صيغ الأمر والنهي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 1983.

- الطلحي، ردة الله. دلالة السياق، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، 1998.

- قسمية، دليلة. استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، 2001.

- **المواقع الإلكترونية:**

- موقع إسلاميات عبر الرابط: http://islamiyyat.com